ابن عبد ربه

السلطان وعدل ساعة

892.78
I13144k A
v.1

892
I 13
V.
M

٧٠١
١٧

١

السلطان وعدل ساعة

Cat. 26 Dec. '52

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

السلطان وعدل ساعة

هو كتاب اللؤلؤة الاولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

892.708
I132ikaA
١
v.1
c.1

السلطان وعدل ساعة

مكتبة صادر
بيروت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٥٥ – ١٩٥١

ابن عبد ربه

٨٦٠–٩٤٠ م

هو ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، ولد في قرطبة ، ونشأ فيها ميّالاً الى الادب من نظم ونثر فبرع فيهما ، ودرس بعض العلوم كالطب والموسيقى ، ومات مفلوجاً .

كان في شبابه معتكفاً على اللهو يكثر الغزل في شعره ، غير انه تزهد في كبره ، فعارض ما نظمه من القصائد الغزلية بقصائد زهدية من بحورها وقوافيها ، سماها بالممحّصات .

وابن عبد ربه شاعر أديب في طبيعته ، ولكن علمه سيطر على أدبه فأضعف من قوة خياله وفنّه ، فاذا قرأت شعره رأيت العقل والعلم مسيطرين على العاطفة والخيال ، فقصيدته القصصية التي ضمّنها وصف غزوات عبد الرحمن الناصر ، وهي تبلغ زهاء اربع مائة واربعين بيتاً ، هذه القصيدة ليست الا عبارة عن تاريخ منظوم لا ملحمة .

بيد أنه اذا قصر في الشعر ، ولم يبلغ في انشائه مبلغ الجاحظ في فكاهته واسترساله والاصبهاني صاحب الاغاني في ايجازه ، فان له من علمه منزلة كبيرة نلمسها في كتابه العقد الفريد ، وما نعت هذا الكتاب بالفريد الا لنفاسته .

هو مجموعة أدبية ، فنية ، من خطب وشعر وفصول نثرية ، وأقوال حكماء وعلماء في قواعد العمران والاجتماع ، فيه علم العروض وعلم الالحان والابدان ، ونتف تاريخية مع أخبار عرب الجاهلية وايامهم وانسابهم وحوادثهم ، واخبار الخلفاء والملوك وغيرهم ؛ وعلى ان فيه نقصاً من حيث تاريخ الحوادث فان قيمته الادبية عظيمة ، لاسيما بما يحتويه من آراء ادبية في نقد الشعر ، وآراء فنية في نقد المغنين والملحنين ؛ وهو بعد الاغاني المرجع الذي يرجع اليه الادباء ويعتمد عليه المؤرخون .

وقد قسم هذا الكتاب مؤلفه الى خمسة وعشرين جزءاً اطلق على كل جزء منها اسم جوهرة من جواهر العقد ، فأخذنا منه كل جوهرة على حدة وجعلناها في كتاب منفرد ضابطين بالشكل ما رأينا ضرورة ضبطه ، مما تحويه ، وشارحين ما فيه من الفاظ تحتاج الى شرح . وبغيتنا من ذلك ان نسهل على الادباء والمتأدبين اقتناء ما يشاؤون مطالعته من مختلف مواضيع جواهره ، والاغتراف من معين فوائده ، وعسى ان نكون قد وفقنا الى توفير ما أردناه .

كرم البستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر وأعن

قال أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، رحمه الله :

الحمد لله الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء ؛ المنفرد بقدرته ، المتعالي في سلطانه ؛ الذي لا تحويه الجهات ، ولا تنعته الصفات ؛ ولا تدركه العيون ، ولا تبلغه الظنون ؛ البادىء بالاحسان ، العائد بالامتنان ؛ الدال على بقائه بفناء خلقه ، وعلى قدرته بعجز كل شيء سواه ؛ المغتفر إساءة المذنب بعفوه ، وجهل المسيء بحلمه ؛ الذي جعل معرفته اضطراراً ، وعبادته اختياراً ؛ وخلق الخلْق من بين ناطق معترف بوَحدانيته ، وصامت متخشّع لرُبوبيته ؛ لا يخرج شيء عن قدرته ، ولا يعزُب عن رؤيته ؛ الذي قرن بالفضل رحمتَه ، وبالعدل عذابه ؛ فالناس مدينون بين فضله وعدله ، آذنون بالزوال ، آخذون في الانتقال ، من دار بلاء ، الى دار جزاء .

احمده على حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ فإنه رضي الحمد ثمناً لجزيل نعمائه ، وجليل آلائه ؛ وجعله مفتاح رحمته ، وكفاء نعمته ، وآخر دعوى أهلِ جنته ؛ بقوله جلّ وعزّ : « وآخرُ دعواهم أن الحمدُ للهِ ربّ العالمين . » وصلى الله على سيدنا محمد النبي

المكرم ، الشافع المقرب ، الذي بُعث آخراً واصطفي اولاً ؛ وجعلنا من أهل طاعته ، وعتقاء شفاعته .

وبعد فان أهل كل طبقة ، وجهابذة كل أُمة قد تكلموا في الادب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ وإن كل متكلم منهم قد استفرغ غايتـه وبذل مجهوده في اختصار بديـع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر الفاظ السالفين ؛ وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصَر منها الى اختصار ، والمتخير الى اختيار .

ثم إني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب ، أعذب ألفاظاً وأسهل بنية وأحكم مذهباً وأوضح طريقة من الأول ، لأنه ناكصٌ متعقب ، والاول بادىء متقدم .

فلينظر الناظر إلى الأوضاع المحْكمة والكتب المترْجَمة بعين إنصاف ، ثم يجعل عقله حكماً عادلاً وفيصلاً قاطعاً ؛ فعند ذلك يعـلم أنها شجرة باسقة الفرع ، طيبة المنبت ، ذكية التربة ، يانِعة الثمرة ؛ فمن اخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوة ، ومنهاج من الحكمة ؛ لا يستوحش صاحبه ، ولا يضل من تمسك به .

وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخَير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولُباب اللُباب ؛ وإنما لي فيه تأليف الاخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب ؛ وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والادباء . واختيار الكلام أصعب من تأليفه . وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله . وقال الشاعر :

قد عَرَفْناك باختيارِك إذ كا ... نَ دليلاً على اللبيب اختِيارُهْ

وقال افلاطون : عُقول الناس مُدوَّنة في أطراف اقلامهم ، وظاهرة في حُسن اختيارهم .

فتطلبتُ نظائرَ الكلام وأشكال المعاني وجواهرَ الحِكم وضُروبَ الأدب ونوادر الامثال ، ثم قرَنْتُ كلَّ جنس منها الى جنسه ، فجعلته باباً على حدَته ؛ ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره في كل باب .

وقصدتُ من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفَها جَوهراً ، وأظهرها رونقاً ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظاً ، وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ؛ آخذاً بقول الله تبارك وتعالى : « الذين يَستمِعون القولَ فيَتَّبعون أحسنَه . »

وقال يحيى بن خالد : الناس يكْتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون .

وقال ابن سيرين : العلم أكثر من ان يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه .

وفيما بين ذلك سقَط الرأي ، وزلل القول ؛ ولكل عالِمٍ هَفوَة ، ولكل جواد كبْوة ، ولكل صارم نبْوة .

وفي بعض الكتب : انفرد الله تعالى بالكمال ، ولم يبرأ أحد من النقصان .

وقيل للعتّابي : هل تعلم احداً لا عيب فيه ؟ قال : ان الذي لا عيب فيه لا يموت أبداً ، ولا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة .

وقال العتّابي : من قرض شعراً او وضع كتاباً فقد استهدف

للخصوم واستشرف للألسن ، الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ، وقليل ما هم .

وحذفت الأسانيدَ من اكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والايجاز ، وهرباً من التثقيل والتطويل ؛ لأنها أخبارٌ مُمتعة وحكمٌ ونوادر ، لا ينفعها الإسناد باتصاله ، ولا يضرها ما حذف منها .

وقد كان بعضهم يحذف اسانيد الحديث من سنَّة متَّبعة ، وشريعة مفروضة ؛ فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مستطرف ، وحديثٍ يذهب نوره إذا طال وكثر .

سأل حفص بن غياث الاعمش عن اسناد حديث ، فأخذ بحلقه وأسنده إلى حائط وقال : هذا اسناده !

وحدث ابن السمّاك بحديث ، فقيل له : ما اسناده ؟ فقال : هو من المُرسلات عرفاً .

وحدث الحسن البصري بحديث ، فقيل له : يا أبا سعيد ، عمن ؟ قال : وما تصنع بعمن يابن أخي ؟ أما أنت فنالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .

وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ؛ فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة . وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الاخبار في معانيها ، وتوافقها في مذاهبها ؛ وقرنت بها غرائب من شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنَّ لمغْرِبنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور .

وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السلك وحسن النظام؛ وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، وهي:

١ كتاب اللؤلؤة في السلطان. ٢ كتاب الفريدة في الحروب. ٣ كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد. ٤ كتاب الجمانة في الوفود. ٥ كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك. ٦ كتاب الياقوتة في العلم والادب. ٧ كتاب الجوهرة في الامثال. ٨ كتاب الزمردة في المواعظ والزهد. ٩ كتاب الدرة في التعازي والمراثي. ١٠ كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب. ١١ كتاب العسجدة في كلام الاعراب. ١٢ كتاب المجنبة في الأجوبة. ١٣ كتاب الواسطة في الخطب. ١٤ كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة. ١٥ كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وايامهم. ١٦ كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة. ١٧ كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم. ١٨ كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه. ١٩ كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي. ٢٠ كتاب الياقوتة الثانية في علم الالحان واختلاف الناس فيه. ٢١ كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن. ٢٢ كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين. ٢٣ كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان. ٢٤ كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب. ٢٥ كتاب اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح.

كتاب اللؤلؤة في السلطان

السُّلطان زِمام الأمور، ونِظام الحُقوق، وقِوام الحُدود، والقُطب الذي عليه مَدار الدّنيا ؛ وهو حمى اللهِ في بِلاده ، وظِلُّه المَمدود على عباده ؛ به يَمتنع حَريمهم ، ويَنتصر مظلومهم ؛ ويَنتقِم ظالمهم ، ويأمن خائفهم .

•

قالت الحكماء : إمام عادِل خيرٌ من مَطر وابل ، وإمام غشُوم خير من فِتنة تَدوم ؛ ولمَا يزَع[1] الله بالسلطان أكثر مما يزَع بالقرآن .

•

وقال وهبُ بن منبّه : فيما أنزل الله على نبيِّه داود عليه السلام : إني أنا الله مالك الملوك ، قلوبُ الملوك بيَدي ؛ فمن كان لي على طاعة جعلتُ الملوك عليهم نِعمة ، ومن كان لي على معصية جعلت الملوك عليهم نِقمة .

•

---

١ يزع : يكف ويمنع.

فحَقّ على من قلده الله أزِمَّةَ حُكمِه ، وملّكه أمور خَلقه ، واختصّه بإحسانه ، ومكن له في سلطانه ، أن يكون من الاهتمام بمَصالح رعيّته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته ، بحيث وضَعه الله من الكرامة، وأجرى له من اسباب السعادة . قالَ اللهُ عزّ وجَل : « الذِينَ إنْ مَكنّاهمْ فِي الأرْضِ أقامُوا الصّلاَةَ وآتَوا[1] الزّكاةَ وأمَرُوا بِالمَعْروفِ ونَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، ولله عاقِبَةُ الأمُورِ . »

•

وقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: عدلُ ساعة في حكومة خَير من عبادة ستين سنة .

•

وقال صلّى الله عليه وسلّم : كلُّكم راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤول عن رعيته .

•

وقال الشاعر :

فكُلّكمُ راعٍ ونحنُ رَعيّةٌ وكلّ سيلقَى رَبَّه فيُحاسبُه

•

ومن شأن الرعيّة قلةُ الرّضا عن الأئمة ، وتحجُّر[2] العُذر

---

١ آتوا : اعطوا .

٢ التحجر : التضييق ، اي ان الرعية لا تقبل عذراً للائمة وانما تضيق عليهم.

عليهم ، وإلزامُ اللائمة لهم ؛ وربّ مَلُوم لا ذنبَ له . ولا سبيلَ الى السلامة من ألسنةِ العامّة ، إذ كان رِضا جُملتها ، وموافقةُ جماعتها ، من المُعجز الذي لا يُدرَك ، والممتنِع الذي لا يُملك ؛ ولكلٍّ حصّتُه من العدل ، ومنزلتُه من الحكم.

فمن حَقّ الامام على رعيّته أن تَقْضِيَ عليه بالأغلب من فعْله ، والأعمّ من حُكمه . ومن حقّ الرعيّة على إمامها حُسْنُ القَبول لظاهر طاعتها ، وإضرابُه صَفْحاً عن مكاشفتِها ؛ كما قال زياد لمّا قدِم العراقَ والياً عليها : أيها الناس ، قد كانت بيني وبينكم إحن[1] ، فجعلتُ ذلك دَبْرَ[2] أذني وتحت قدمي ، فمن كان مُحْسناً فليزد في احسانه ، ومن كان مسيئاً فلينزِع عن إساءته . إني لو علمتُ انّ أحدكم قد قتله السُّلُّ من بُغضي لم اكشف له قناعاً ، ولم اهتِك له ستراً ، حتى يُبدي صفحته لي .

•

وقال عبدُالله بن عمر : إذا كان الامام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائراً فعليه الوزر[3] وعليك الصبر .

•

---

١ الاحن ، واحدتها احنة : الحقد .

٢ دبر : وراء .

٣ الوزر : الاثم .

وقال كعب الأحبار: مَثَل الإسلام والسُّلطان والناس مثلُ الفسطاط[1] والعمود والاوتاد، فالفُسطاط الإسلام؛ والعمود السلطان؛ والأوتاد الناس. ولا يصلح بعضها إلا ببعض.

•

وقال الأفْوَه الأوْدِيّ:

لا يَصْلحُ الناسُ فَوضَى لا سَراةَ لهمْ؛
ولا سَراةَ إذا جُهَّالهم سادُوا

والبَيْتُ لا يُبْتَنى إلاّ له عَمَدٌ؛
ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوْتادُ

فإنْ تَجَمّع أوتادٌ وأعمدةٌ
يوْماً، فقد بَلَغوا الأمرَ الذي كادُوا[2]

---

١ الفسطاط: الخيمة.

٢ بلغوا الامر الذي كادوا: اي بلغوا الامر الذي طلبوه وارادوه.

نصيحة السلطان ولزوم طاعته

قال الله تبارَك وتعالى : «يأيها الذين آمَنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم .»

وقال أبو هريرة : لمَّا نزلت هذه الآية أُمرنا بطاعة الأئمة ، وطاعتهم من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من فارق الجماعة، أو خلع يداً من طاعة ، مات ميتة جاهلية .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة ؛ قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأولي الأمر منكم .

فنُصْحُ الإمام ولزُومُ طاعتِه ، واتِّباعُ أمره ونهْيِه في السر والجهر، فرْضٌ واجب، وأمرٌ لازم ، ولا يتم إيمانٌ إلا به، ولا يثبُت إسلام إلا عليه .

•

الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: قال لي أبي:

أرى هذا الرجل ، يعني عمر بن الخطاب ، يستفهمك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، وإني موصيك بخلال أربع : لا تُفشِينّ له سرّاً ، ولا يُجرّبنّ عليك كذباً ، ولا تَطوِ عنه نصيحة ، ولا تغتابنّ عنده أحداً .

قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة خيرٌ من ألف؛ قال : إي والله ، ومن عشرة آلاف .

•

وفي كتاب للهند[1] : أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم ، فقال: أيها الملك، ان نصيحتك واجبة في الصغير الحقير والكبير الخطير، ولولا الثقةُ بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة ، لكان خُرقاً[2] مني أن أقول؛ ولكنا إذا رجعنا الى ان بقاءنا موصولٌ ببقائك، وأنفسنا متعلقة بنفسك، لم نجد بداً من أداء الحق اليك وإن أنت لم تسلني ذلك، فإنه يقال: من كتم السلطان نصيحته، والاطباء مرضَه ، والاخوان بثه، فقد أخلّ بنفسه .

وأنا أعلم أنّ كلّ ما كان من كلامٍ يكْرُهه سامعُه لا يتشجع عليه قائله ، إلا أن يثِقَ بعَقْل المقول له ذلك ؛ فإنه

---

١ اراد بكتاب الهند كليلة ودمنة، وكثيراً ما يشير ابن عبد ربه بذلك الى هذا الكتاب.
٢ الخرق : ضعف الرأي .

إذا كان عاقلاً احتملَ ذلك ، لأنه ما كان فيه من نَفْع فهو للسامع دون القائل .

وإنك ايها الملك ذو فضيلة في الرأي ، وتصرف في العلم ، ويشجعني ذلك على أن اخبرك بما تكرهُ ، واثقاً بمعرفتك نصيحتي لك ، وإيثاري إياك على نفسي .

•

وقال عمرو بن عُتبة[1] للوليد حين تغير الناس عليه : يا أمير المؤمنين ! ينطقني الأنس بك ، وتسكتني الهيبة لك ، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ؛ افأسكت مطيعاً أم أقول مُشفقاً ؟

قال : كلٌّ مَقبولٌ منك ، ولله فينا عِلم غَيبٍ نحن صائرون اليه .

فقُتل بعد ذلك بأيام .

•

وقال خالد بن صفوان : من صَحِب السلطان بالصحة والنصيحة اكثر عدوًّا ممن صحبه بالغش والخيانة ؛ لأنه يجتمع على الناصح عدوّ السلطان وصديقه بالعداوة والحسد ، فصديق السلطان ينافسه في مرتبته ، وعدوُّه يبغضه لنصيحته .

---

١ عمرو بن عتبة : كان كاتباً للوليد وملازماً له .

ما يصحب به السلطان

قال ابن المقفع : ينبغي لمن خدم السلطان أن لا يغتر بـه إذا رضي ، ولا يتغير له إذا سخط، ولا يستثقل ما حمّله ، ولا يلحف في مسألته .

وقال أيضاً : لا تكن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم ؛ فإن كنت حافظاً اذا ولوك ، حذراً إذا قربوك ، أميناً اذا ائتمنوك ، ذليلاً إذا صرموك ، راضيـاً إذا أسخطوك؛ تعلّمهم و كأنك تتعلم منهم، وتؤدبهم و كأنك تتأدب بهم، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر، وإلا فالبعدَ منهم كل البعد، والحذرَ منهم كل الحذر .

•

وقال المأمون : الملوك تتحمل كل شيء إلا ثلاثـة أشياء : القدح[1] في الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحَرَم .

•

وقال ابن المقفّع : إذا نزلتَ من السلطان بمنزلةِ الثِقة فلا تلزم الدُّعاء له في كل كلمة، فإنّ ذلك يوجب الوحشة ويُلزِم الانقباض.

•

---

١ القدح : الذم ، والطعن .

وقال الاصمعي : توصلت بالمُلَح[1] وأدركت بالغريب .

•

وقال أبو حازم الأعرج لسليمان بن عبد الملك : إنما السلطان سوقٌ فما نفق عنده حُمل اليه .

•

ولما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند ، فقالت له : يا بنيّ ، إنه قلما ولدَت حُرَّةٌ مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعملْ بما وافقه، أحببت ذلك ام كرهته .

ثم دخل على أبيه أبي سفيان ، فقال له : يا بني ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فرفعهم سبْقُهم وقصَّر بنا تأخرنا ، فصرنا اتباعاً وصاروا قادة؛ وقد قلدوك جسيماً من أمرهم ، فلا تخالفنَّ أمرهم ، فإنك تجري الى أمدٍ لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه[2] .

قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ .

•

---

١ الملح، واحدتها ملحة : ما لذ واستملح من الاحاديث .

٢ لتنفست فيه : استرحت بعد بلوغك اياه .

وقال ابرويز[1] لصاحب بيت المال: اني لا أعذِرك في خيانة درهم ولا احمدُك على صيانة ألف ألف. لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك؛ فإن خنت قليلًا خنت كثيراً. واحترس من خَصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي؛ واعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو، إلا وأنت عندي آمنُ من موضعه الذي هو فيه، وخوانته التي هي عليه، فحقق ظني باختياري إياك أُحقق ظنك في رجائك إياي؛ ولا تتعوض بخير شرًّا، ولا برِفْعة ضَعَة، ولا بسلامة ندامة.

•

ولما ولّى يزيدُ بن معاوية سلمَ بنَ زياد خُراسانَ، قال له: إن أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيتك صغيراً، فلا تتّكلن على عذر مني، فقد اتكلت على كِفاية منك؛ وإياك مني قبل أن أقول إياي منك، فإن الظن إذا أُخلف مني فيك أُخلف منك فيّ، وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه، وقد اتبعك أبوك فلا تريحَنّ نفسَك.

•

---

١ أبرويز: هو كسرى أبرويز بن هرمز. خلعه الفرس لطغيانه، وقتلوه بمساعدة ابنه شيرويه الذي خلفه. ومعنى ابرويز: المظفر.

وقال يزيد : حدثني أبي : أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ، ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار ، فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل ، فجاوز عمرَ معاويةُ حتى أُخبر به ، فرجع إليه .

فلما قرب منه نزل اليه ، فأعرض عنه ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلًا ؛ فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل .

فأقبل عليه عمر ، فقال : يا معاوية ، أنت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : ولِمَ ذاك ؟

قال : لأنّا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدوّ ، ولا بدّ لهم مما يُرهِبهُم من هيبة السلطان ، فإن أمرتني بذلك أقمتُ عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت .

فقال : لئن كان الذي تقول حقًّا فإنه رأيُ أريبٍ[1] ، وإن كان باطلًا فإنها خدعة أديب ، وما آمرك به ولا أنهاك عنه .

فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسنٌ ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه !

---

١ الاريب : الماهر .

فقال : لحُسنِ مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه[1] .

•

وقال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لأبي موسى الاشعري على البحرين ، فكتب إليه عمر بن الخطاب ، يأمره بالقدوم عليه هو وعماله ، وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا .

فلما قدمنا أتيتُ يَرْفأ[2] ، فقلت : يا يَرفأ ، إني سائل مسترشد ، أخبرني أيُّ الهيئات أحبّ الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟

فأومأ الى الخشونة .

فاتخذت خفين مُطارَقين[3] ، ولبست جبة صوف ، ولثت[4] رأسي بعمامة دكناء[5] . ثم دخلنا على عمر ، فصفّنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوّب ، فلم تأخذ عينه أحداً غيري ، فدعاني فقال : من أنت ؟

---

١ جشمناه : كلفناه .

٢ يرفأ : مولى عمر .

٣ مطارقين : خرزت فيهما نعل على اخرى .

٤ لثت : لففت ، ادرت على رأسي .

٥ دكناء : ضارب لونها الى السواد .

قلت : الربيع بن زياد الحارثي .

قال : وما تتولى من أعمالنا ؟

قلت : البحرين .

قال : فكم ترزق ؟

قلت : خمسة دراهم في كل يوم .

قال : كثير ! فما تصنع بها ؟

قلت: أتقوت منها شيئاً وأعود بباقيها على اقارب لي ، فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين .

فقال : لا بأس ، ارجِع الى موضعك .

فرجعت الى موضعي من الصف .

ثم صعّد فينا وصوّب، فلم تقع عينه الا عليّ، فدعاني فقال: كم سِنُوك ؟

فقلت : ثلاث وأربعون سنة .

قال : الآن حين استَحْكَمْتَ .

ثم دعا بالطعام ، وأصحابي حديثو عهد بليّن العيش ، وقد تجوعت له، فأتي بخبز يابس وأكسار بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك ، وجعلت آكل فأجيد الأكل؛ فنظرت فاذا به يلاحظني من بينهم. ثم سبقت مني كلمة تمنّيت أني سُخت[1] في الارض ولم

---

١ سخت : غصت .

ألفظ بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان الناس يحتاجون الى صلاحك ، فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا .

فزجرني وقال : كيف قلتَ ؟

قلت : أقول : لو نظرت يا أمير المؤمنين إلى قوتك من الطحين فيخبز لك قبلَ إرادتك إيّاه بيوم ، ويطبخ لك اللحم كذلك ، فتؤتى بالخبز ليّناً وباللحم غريضاً .

فسكّن من غربه[1] ، وقال : هذا قصدْتَ ؟

قلت : نعم .

قال : يا ربيع ، إنا لو نشاء لملأنا هذا الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم ، فقال : «أذهبْتمْ طيّباتِكم في حياتِكمُ الدنيا واستمْتعْتم بها» ثم أمر أبا موسى أن يقرّني على عملي وان يستبدل بأصحابي .

(قوله : لُثْتُها على رأسي ؛ يقال : رجل ألوث ، إذا كان شديداً ، وذلك من اللوث ، ورجل ألوث ، إذا كان أهوج ، وهو مأخوذ من اللُّوثة ؛ يقال : لثت عمامة على رأسي ؛ يقول أدرتها بعضها على بعض على غير استواء .

وقوله : صلائق ، هو شيء يعمل من اللحم ، فمنها ما يطبخ ومنها ما يشوى ؛ يقال : صلقت اللحم إذا طبخته ؛ وصلقته إذا شويته .

---

١ غربه : حدته .

وقوله : غريضاً ، يقول طرياً ؛ يقال : لحم غريض ، تراد به : الطَّراءة . قال العتّابي :

إذا ما فاتَني لحمٌ غَرِيضٌ ، ضَرَبتُ ذراعَ بَكري فاشتويت

وقوله : سبائك ، يريد الحُوّارى من الخبز ، وذلك أنه يسبك فيؤخذ خالصه ، والعرب تسمي الرُّقاق السبائك .

والصِّناب : صِباغ[1] يتخذ من الزبيب والحُرْدل ؛ ومنها قيل للفرس : صنابي ، إذا كان ذلك اللون.

قال جرير :

تكلِّفني مَعيشةَ آلِ زَيدٍ ، ومَنْ لي بالمُرقَّق والصِّنابِ

وقوله : أكسار بَعير ، فالكَسر والعَصَل والجِزْل : العظم يفصل ما عليه من اللحم .

وقوله : نَعى على قوم شهَواتهم ، أي عابهم بها ووبخهم .)

•

ومما يُصحَب به السلطان : أن لا يُسلِّم على قادم بين يديه ، وإنما استنّ[2] ذلك زياد[3] ، وذلك أن عبد الله بن عباس قدِم على معاوية وعنده زياد ، فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ، ولم يكلمه زياد شيئاً . فابتدأه ابن عباس وقال : ما حالك أبا

---

١ الصباغ : الادام يؤتدم به .

٢ استنه : جعله سنة اي طريقة .

٣ هو زياد ابن ابيه. كان عاملاً لمعاوية على الكوفة، وأحد اركان الدولة الاموية.

المُغيرة ؟ كأنك أردت أن تُحْدث بيننا وبينك هَجراً !

قال: لا، ولكنه لا يُسلِّم على قادم بين يدَي أمير المؤمنين.

فقال له ابن عباس : ما ترك الناسُ التحية بينَهم بين يدي أمرائهم .

فقال له معاوية : كُفَّ عنه يابن عباس ، فإنك لا تشاءُ أن تغلِب إلا غَلبْت .

•

أبو حاتم عن العُتبي قال : قدم معاوية من الشام ، وعَمرو ابن العاص من مصر ، على عمر بن الخطاب فأقعدهما بين يديه ، وجعل يسائلهما عن أعمالهما ، إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية : أعملي تَعيب وإلي تقصِد؟ هلمَّ تُخْبر أمير المؤمنين عن عملي وأُخبره عن عملك .

قال عمرو : فعلِمت أنه بعملي أبصر مني بعمله، وأن عُمرَ لا يدع أول هذا الحديث حتى يصير إلى آخره، فأردت أن أفعل شيئاً أشغلُ به عمر عن ذلك ، فرفعت يدي فلطمت معاوية ؛ فقال عمر : تالله ما رأيتُ رجلاً أَسْفَه منك ، قُم يا معاوية فاقتص منه .

قال معاوية : إن أبي أمرني أن لا أقضيَ أمراً دونه .

فأرسل عمر الى أبي سفيان، فلما أتاه ألقى له وسادةً، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

ثم قص عليه ما جرى بين عمر ومعاوية .

فقال: لهذا بعثتَ إليَّ! أخوه وابنُ عمه، وقد أتى غير كبير، وقد وهبت ذلك له .

•

وقالوا : ينبغي لمن صحب السلطان ان لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها؛ وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خُرق، حتى يخبرَه بعيبه من غير أن يواجهه بذلك ، ولكن يضرب له الأمثال ويخبره بعَيبِ غَيره ليَعرِف عيبَ نَفْسِه .

•

وقالوا : من تعرض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطاه؛ فشبَّهوا السلطان في ذلك بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان لها وتمايل معها من الحشيش والشجر ، وما استهدف لها قصَمته . قال الشاعر :

إنّ الرّياح إذا ما أعْصَفَت قصَفت عِيدان نَبع ، ولا يعبأن بالرّتَم[1]

•

وقالوا : إذا زادك السلطان إكراماً فزده إعظاماً ، وإذا جعلك عبداً فاجعله رباً .

---

١ النبع : شجر تتخذ منه القسي . الرتم : نبات من دق الشجر ، كأنه من دقته يشبه بالرتم ، وهي الخيوط .

اختيار السلطان لاهل عمله

لما وجّه عمرُ بن هبيرة مسلمَ بن سعيد إلى خراسان ، قال له : أُوصيك بثلاثة : حاجبك ، فانه وجهك الذي به تلقى الناس ، إن أحسن فأنت المحسن ، وإن أساء فأنت المسيء ؛ وصاحب شرطتِك ، فإنه سوْطُك وسَيفُك ، حيث وضعتهما فقدِّر ضعتهما ؛ وعمال القدر[1] .

قال : وما عمال القدر ؟

قال : أن تختار من كل كورة رِجالاً لعملك فإن أصابوا فهو الذي اردت ، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب.

•

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : أن اجمَع بين إياس بن معاوية والقاسم بنِ ربيعة الجَوْشنيّ ، فولِّ القضاء أنفذهما .

فجمع بينهما ، فقال له إياس : أيها الرجل ، سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة : الحسنَ[2] وابن سيرين .

---

١ قدر ضعتهما : اي قدر اين تضعهما ، اختر المكان المناسب لوضعهما . عمال القدر : ذوي الشرف والحسب .

٢ الحسن : اراد الحسن البصري .

وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا يأتيهما، فعلم القاسم انه إن سألهما أشارا به، فقال القاسم: لا تسأل عني ولا عنه، فوالله الذي لا إله إلا هو، ان إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء، فان كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي.

فقال له إياس: إنك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة، يستغفر الله منها وينجو مما يخاف.

فقال له عدي: أما إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستقضاه.

•

وقال عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية: دلني على قوم من القرّاء أُوَلّيهم.

فقال له: القرّاء ضرْبان: ضرب يعْملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم.

•

أيوب السختيانيّ، قال: طُلب أبو قِلابة لقضاء البصرة، فهرب إلى الشام، فأقام حيناً ثم رجع. قال أيوب: فقلت له: لو وليتَ القضاء وعَدَلْتَ كان لك أَجْران.

قال: يا أيوب، إذا وقَع السابح في البحر كم عسى أن يَسبح!

•

وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه: دُلّوني على رجل أستعمله.

فقال له رَوْح بن زِنْباع: أدلك يا أمير المؤمنين على رجل إن دعَوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتِكم؛ ليس بالملْحف طلباً، ولا بالمُمعِن هرَباً: عامرٍ الشعْبي.

فولاه قضاء البصرة.

•

وسأل عمرُ بنُ عبد العزيز أبا مِجْلَز عن رجل يُوليه خراسان، فقال له: ما تقول في فلان؟

قال: مصنوع له وليس بصاحبها.

قال: ففُلان؟

قال: سريع الغضب بعيدُ الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل؛ يحسُد أُمه وينافس أباه ويُحقر مولاه.

قال: ففلان؟

قال: يُكافىء الأكفاء، ويعادي الاعداء، ويفعل ما يشاء.

قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

•

وأراد عمرُ بنُ الخطاب أن يستعمِل رجُلًا؛ فبَدَر الرجلُ فطلب منه العملَ؛ فقال عمر: والله لقد كنت أردتك لذلك، ولكنْ منْ طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه.

•

وطلب رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعمله ؛ فقال : إنا لا نستعمل على عملنا من يريده .

•

وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي ولاية ؛ فقال : يا عم ، نفس تُحْييها خيرٌ من ولاية لا تُحْصيها .

•

وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه لخالد بن الوَليد : فِرَّ من الشرف يتبعْك الشرف ، واحرص على الموت توهب لك الحياة .

•

وتقول النصارى : لا يُختار للجثلقة[1] إلا زاهدٌ فيها غير طالب لها .

•

وقال إياس بن معاوية: أرسل إلي ابن هُبيرة فأتيته؛ فسا كتني فسكتّ ، فلما أطلت قال : هِيه .

قلت : سَل عما بدا لك .

قال : أتقرأ القرآن ؟

---

١ الجثلقة: رئاسة دينية عند النصارى ، يسمى صاحبها جثليق ، والجثليق معرب كاثوليكوس باليونانية .

قلت : نعم .

قال : أتفرض الفرائض ؟

قلت : نعم .

قال : أتعرف من أيام العرب شيئاً ؟

قلت : نعم .

قال : اتعرف من أيام العجم شيئاً ؟

قلت : أنا بها أعرف .

قال : إني أُريد أن استعين بك على عملي .

قلت : ان فيَّ خلالاً ثلاثاً لا أَصلحُ معهـا للعمل ؛ قال : وما هي ؟

قلت : أنا دَميم كما ترى ، وأنا حديد[1]، وأنا عَيّ .

قال : اما دَمامتك فإني لا أريد أن أُحاسن الناسَ بك ، وأما العِيّ فإني أراك تُعرِبُ عن نفسك ، وأما الحدة فإن السوط يقومك ؛ قمْ قد وليتك .

قال : فولاني واعطاني مائة درهم ، فهي أول مال تموّلته .

•

وقال الاصمعي: ولي سليمان بن حبيب المحاربي قضاءَ دمشقَ لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام .

---

١ الحديد : الشديد الصلب .

وأراد عمر بن عبد العزيز مكحولاً على القضاء ، فأبى عليه ؛ قال له : وما يمنعك ؟

قال مكحول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقضِ بين الناس إلا ذو شرف في قومه ، وأنا مولى .

•

ولما قدم رجال الكوفة على عمر بن الخطّاب يشكون سعد ابن أبي وقاص؛ قال : من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليت عليهم التّقيّ ضعّفوه ، وإن وليت عليهم القويّ فجّروه .

فقال له المُغيرة : يا أمير المؤمنين ، إن التقيّ الضعيف له تقواه وعليك ضعفه ، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره .

قال : صدقت ، فأنت القويُّ الفاجر ، فاخرج اليهم .

فخرج ، فلم يزل عليهم أيام عمر وصدراً من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات المغيرة .

حسن السياسة واقامة المملكة

كتب الوليد بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب اليه بسيرته؛ فكتب اليه: إني أيقظتُ رأيي وأنمتُ هواي، فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموفّر لأمانته، وقسمتُ لكل خصم من نفسي قسماً، أعطيه حظاً من لطيف عنايتي ونظري؛ وصرفت السيف إلى النَّطِفِ[1] المُسيء، والثوابَ إلى المُحسِن البريء؛ فخاف المُريبُ صولةَ العِقاب، وتمسَّك المُحسنُ بحظّه من الثَّواب.

•

وقال اردشير[2] لابنه: يا بني، إن المُلك والعدل أخوان لا غِنى بأحدهما عن الآخر، فالمُلك أُسّ والعدل حارس، فما لم يكن له أسّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع. يا بني، اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبِشرك لأهل الدين، وسرّك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول.

•

---

١ النطف: النجس والمريب.

٢ اردشير: حفيد يستاسب ملك الفرس، اشتهر بمغازيه وتواضعه.

وقالت الحكماء: مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لاقامة أمر دينه ؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان . ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبَها ، وإنزالها منازلها .

وينبغي لمن كان سلطاناً ان يقيم على نفسه حجّة الرعيّة، ومن كان رعيّة ان يقيم على نفسه حجّة السلطان؛ وليكن حكمه على غيره مثلَ حكمه على نفسه؛ فإنما يعرف حقوق الاشياء من يعرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها ؛ ولا يكون أحدٌ سلطاناً حتى يكون قبل ذلك رعيّة .

•

وقال عبدُ الملك بن مَروان لبَنيه: كلّكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيْف مسلول، ومالٌ مبذول، وعدْل تطمئن اليه القلوب .

•

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يصلح لهذا الأمر إلا الليّن من غير ضَعْف ، القَويُّ من غير عُنْف .

•

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أبتِ ما السياسة ؟

قال : هَيْبة الخاصّة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

•

وكتب أرسْطاطاليس إلى الاسكندر : املِكِ الرعيةَ بالاحسان اليها تَظْفر بالمحبة منها ، فإنّ طلبك ذلك بإحسانك أدومُ بقاء منه باعتسافك ؛ واعلم انك إنما تملك الأبدان ، فاجمع لها القلوبَ بالمحبّة ؛ واعلم أن الرعية إذا قدرتْ على أن تقول قدرتْ على أن تفعل ، فاجتهد ألا تقول تسلمْ من أن تَفعل .

•

وقال أَرْدَشير لأصحابه : إنما أَملك الاجساد لا النيّات ، وأحكمُ بالعدل لا بالرضا ، وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر .

•

وكان عمرو بن العاص يقول في معاوية : اتّقوا أكرم قريش وابن كريمها ، من يضحَك في الغضَب ، ولا ينام إلا على الرِّضا ، ويتناول ما فوقه من تحته .

•

وقال معاوية : إني لا أضع سيْفي حيثُ يكفيني سَوطي ، ولا أضع سَوطي حيثُ يَكْفيني لساني ؛ ولو أنّ بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعتْ .

فقيل له : وكيف ذلك ؟

قال : كنتُ إذا مدّوها أرخيتُها، وإذا أرخَوْها مدَدْتها .

•

وقال عمرو[1] : رأيتُ معاويةَ في بعض أيّامنا بصِفّين خرج في عُدّة لم أرَه خرج في مثلها، فوقف في قلب عسكره، فجَعل يَلْحظ مَيْمَنته فيرى فيها الخَلل، فيَبْدُر اليه من يسده، ثم يَفْعل ذلك بميسرته ، فتُغْنيه اللَّحْظَة عن الإشارة . فدخله زهو مما رأى ، فقال : يابن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟

فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيت من يَسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحداً تأتّى له من طاعة رعيته ما تأتّى لك من هؤلاء .

فقال : أفتَدْري متى يَفْسُد هذا ؟ وفي كم ينتقض جميعه ؟

قلت : لا .

قال : في يوم واحد .

قال: فأكثرتُ التعجّب؛ قال: إي والله ، وفي بعض يوم.

قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

---

١ عمرو بن العاص .

قال : إذا كُذِبوا في الوعد والوعيد ، وأُعطُوا على الهوى لا على الغَناء ، فسدَ جميعُ ما ترى .

•

وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي إذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه : أن شمِّر للحرب، وجاهد عدوك، واشترِ من الظنين دينه بما لا يَثْلِم دينك، وولِّ أهلَ البيوتات تَسْتَصْلِح بهم عشائرَهم .

•

وقالت الحكماء : أسْوَسُ الناس لرعِيّته ، مَنْ قاد أبدانها بقُلوبها، وقُلوبَها بخواطرها ، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرَّهبة .

•

وقال أبرَويز لابنه شِيرويَه : لا تُوسِّعنّ على جُندك سعة يستغنون بها عنك ، ولا تُضيِّقن عليهم ضيقاً يضجون به منك، ولكن أعطهم عطاء قصداً ، وامنعهم منعاً جميلاً ، وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء .

•

ونحو هذا قول المنصور لبعض قواده : صدق الذي قال : أجعْ كلبَك يَتْبعك ، وسمِّنه يأكلْك .

فقال له أبو العباس الطُّوسي: أما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعْته أن يُلوِّح له غيرُك برَغيف فيتبَعه ويَدَعَك ؟

•

وكتب ابرويز إلى ابنه شيرَوَيه من الحبس : اعلم أن كلمة منك تسفك دماً ، وأخرى تحقن دماً ، وأن سخطك سيف مسلول على من سَخِطت عليه ، وأن رضاك بركة مُستفيضة على من رضيت عنه ، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ؛ فاحترس في غضبك من قولك أن يخطىء ، ومن لونك أن يتغير ، ومن جسدك أن يخِفَّ ، فإن الملوك تُعاقب حزماً وتعفو حلماً ؛ واعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب ، وأن مُلْكك يَصْغر عن رضاك ، فقدِّر لسخطك من العقاب ، كما تقدِّر لرضاك من الثواب .

•

وخطب سَعيد بن سُويْد بحمْص ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن للإسلام حائطاً مَنيعاً وباباً وثيقاً ، فحائط الإسلام الحقُّ وبابهُ العدلُ ؛ ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتدّ السلطان ، وليست شِدَّةُ السلطان قتلًا بالسيف ولا ضرْباً بالسوط ، ولكن قضاءً بالحقِّ وأخذاً بالعدل .

•

وقال عبد الله بن الحَكم : إنه قد يَضطَغِن على السلطان رجلان : رجل أحسنَ في محْسِنين فأثيبوا وحُرم ، ورجل أساء

في مُسيئين فعُوقِب وعُفِي عنهم ؛ فينبغي للسلطان أن يحترس منهما .

•

وفي التاج[1] كتب ابرويز لابنه شيرويه يوصيه : ليكن من تختاره لولايتك امرأ كان في ضَعة فرفعته ، أو ذا شرف كان مهملًا فاصطنعته ؛ ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ، ولا أحداً ممن يقع في قلبك أن إزالة سلطانك أحبُّ اليه من ثبوته ؛ وإياك أن تستعمله ضرَعاً غِمراً[2] كثيراً إعجابه بنفسه ، قليلًا تجربته في غيره ؛ ولا كبيراً مُدْبراً[3] قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السن من جسمه .

---

١ اراد كتاب التاج .

٢ الضرع : الضعيف . الغمر : الذي لا تجربة له .

٣ المدبر : الذي ادار ظهره للحياة ، مستقبلًا الموت .

بسط المعدلة ورد المظالم

الشيبانيّ قال : حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي عن قَحْطبَة بن حُميد قال: إني لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم، فكان آخرَ من تقدم اليه، وقد همّ بالقيام، امرأةٌ عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم ؛ فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أَمَة الله ، تكلمي بحاجتك ؛ فقالت :

يا خيرَ مُنْتَصِف يُهدى له الرَّشَدُ ؛
ويا إماماً بهِ قد أشرقَ البَلَدُ

تَشكو إليك ، عميدَ القوم ، أرملةٌ
عُدِي عليها ، فلم يُترك لها سَبَدُ[1]

وابتُزّ مني ضِياعي ، بعد مَنْعتها ،
ظُلماً ، وفُرِّق مني الأهل والوَلد

---

١ السبد : الشعر ، ويكنى به عن الابل .

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

في دُون ما قلتِ زال الصَّبرُ والجَلَدُ
عني ، وأُفْرِح مني القَلْب والكَبِدُ

هذا أذانُ صلاةِ العَصْرِ ، فانصرِفي
وأحضِري الخَصْمَ في اليوم الذي أَعِد

فالمجلِسُ السَّبتُ ، إن يُقْضَ الجلوس لنا
نُنْصِفْك منه ، وإلا المجلسُ الاحد

قال : فلما كان يوم الاحد جلس ، فكان أوّل من تقدم اليه تلك المرأة ، فقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : وعليك السلام ، أين الخصْم ؟

فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين — وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بنَ أبي خالد ، خُذْ بيده فأجْلِسه معها مجلسَ الخُصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس ؛ فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك .

فقال المأمون : دعْها يا أحمد ، فإن الحق أنْطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، وظلمَ العبّاسَ بظُلمه لها ، وأمر بالكِتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغِر لها ضَيْعتها[1] ويُحْسن معاونتها ، وأمَر لها بنَفَقة .

•

العُتبيّ قال : إني لقاعد عند قاضي هِشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرَس هشام حتى قعدا بين يديه ، فقال : إن أمير المؤمنين جرّاني[2] في خصومة بينه وبين إبراهيم .

فقال القاضي : شاهدَيك على الجراية[3] .

فقال : أتُراني قلتُ على أمير المؤمنين ما لم يقُلْ ، وليس بيني وبينه إلا هذه السُّترة !

قال : لا ، ولكنّه لا يَثْبُت الحقُّ لك ولا عليك إلاّ ببيِّنة .

قال : فقام الحَرسيّ فدخل على هشام فأخبره . فلم نَلبث

---

١ يوغر لها ضيعتها : يسقط عنها خراجها .

٢ جراني : وكلني .

٣ الجراية : الوكالة .

أن تقعقعت الأبوابُ وخرج الحرسيّ، وقال: هذا أمير المؤمنين.

وخرج هشام، فلما نظر اليه القاضي قام، فأشار اليه وبسط له مصلّى، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه، وكنا حيثُ نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضُه.

قال: فتكلّما وأحضرا البيّنة، فقضى القاضي على هشام.

فتكلّم إبراهيم بكلمة فيها بعضُ الخُرْق، فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظُلْمك.

فقال له هشام: لقد همَمْت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك.

قال: أما والله لئن فعلتَ لتَفْعلنّه بشَيْخ كبير السنّ قَريب القرابة واجب الحقّ.

فقال هشام: استرْها علي.

قال: لا ستر الله إذاً ذنبي يوم القيامة إن سترتها.

قال: فإني معطيك عليها مائة ألف.

قال إبراهيم: فسترْتها عليه أيامَ حياته ثمناً لما أخذت منه، وأذعتُها بعد مماته تَزْييناً له.

•

قال: وورد على الحجاج بن يوسف سُليكُ بن سُلَكة[1]،

---

١ سليك بن السلكة هذا قتل في الجاهلية، والذي عاصر الحجاج هو فرعون بن عبد الرحمن، المعروف بابن سلكة، فلعله هو.

فقال : أصلح الله الأمير ، أرعِني سَمْعك ، واغضُض عني بصرك ، واكفف عني غَرْبك ، فإن سمعت خطأ أو زللًا فدونك والعقوبة .

قال : قل .

فقال : عصى عاصٍ من عُرض العشيرة فحُلِّق على اسمي[1] ، وهدم منزلي ، وحُرِمْتُ عطائي .

قال : هيهات ! أوما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يَجْنِي عليك ، وقَدْ
تُعدِي الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الجُرْبِ
ولرُبَّ مأخوذٍ بذَنب عَشيرة ،
ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذَّنبِ[2]

فقال : أصلح الله الأمير ، إني سمعت الله عز وجل يقول غير هذا .

قال : وما ذاك ؟

قال : قال الله تعالى : «يأيُّها العَزِيزُ إنَّ له أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إنّا نراكَ مِنَ المُحْسِنِينَ . قالَ مَعاذَ الله

---

١ حلق على اسمي : جعل اسمي داخل حلقة من المداد ، وكان يفعل ذلك بكل من يراد حبس العطاء عنه .

٢ صدر هذا البيت من الكامل التام في حين ان العجز من مجزوئه .

أَنْ نَأْخُذَ إلا مَنْ وجَدْنا مَتَاعَنا عِنْدَهُ إنَّا إذاً لظَالمونَ.»

فقال الحجّاج : عليَّ بيزِيدَ بن أبي مسْلم .

فمثُل بين يديه . فقال : افكُكْ لهذا عن اسمه ، واصكك له بعطائه ، وابنِ له منزله ، ومُرْ منادياً ينادي : صدَق الله وكذب الشاعر .

•

وقال معاوية : إني لأستحي أن أظلمَ من لا يجد عليّ ناصراً إلا الله .

•

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته ، فكتب اليه : حصِّنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم .

•

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم، وهو والي أرض فارس: يا ربيع، آثِرِ الحق ، والزم القَصْد ، وابسط العدل ، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصفَ من نفسه، وأظلَمهم من ظلم الناس لغيره .

•

وقال ابن أبي الزناد عن هشام بن عُروة قال : استعمل ابنُ عامر عَمرَو بن أصبَغ على الأهواز ، فلما عزله قال له : ما جئتَ به ؟

قال له : ما معي إلا مائة درهم وأثواب .

قال : كيف ذلك ؟

قال : أرسلتني إلى بلدٍ أهلُه رجلان: رجلٌ مسلم له ما لي وعليه ما عليّ ، ورجل له ذِمّة الله ورسوله، فوالله ما دَرَيْتُ أين أضع يدي .

قال : فأعطاه عشرين ألفاً .

•

وقال جعفر بن يحيى : الخراج عمود الملك ، وما استُغزِر بمثل العدل ، وما استُنزِر بمثل الظلم .

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: الظُّلم ظُلمات يوم القيامة .

صلاح الرعية بصلاح الامام

قالت الحكماء: الناس تبَعٌ لإمامهم في الخير والشر.

•

وقال أبو حازم الأعرج: الامام سوق فما نفَقَ عنده جُلِب اليه.

•

ولما أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسِوارَيه، قال: ان الذي أدى هذا لأمينٌ!

قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله يؤدُّون إليك ما أديت إلى الله تعالى، فإذا رتَعْت رتعُوا.

•

ومن أمثالهم في هذا، قولهُم: إذا صلَحت العين صلَحت سواقيها.

•

الأصمعي قال: يقال: صِنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء، والفقهاء.

•

اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة[1] فأنكرَ منها شيئاً ، فقال لوكيله : ويحك ! إني لأظنّك تخونني .

قال : أفتظن ذلك ولا تَسْتَيْقِنُه ؟

قال : وتفْعلُه ؟

قال: نعم، والله إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين ليخونُ الله ، فلعن الله شرَّ الثلاثة .

---

١ الغوطة : كورة منها دمشق .

قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه

قالت الحكماء : لا ينفع المَلِكُ إلا بوزرائه وأعوانه ، ولا ينفعُ الوزراءُ والاعوانُ إلا بالمودةِ والنصيحة ، ولا تنفع المودةُ والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف . ثم على الملوك بعدُ أن لا يتركوا محسناً ولا مسيئاً ما دون جزاء ، فإنهم إذا تركوا ذلك تهاون المُحسن ، واجترأ المسيء ، وفَسَد الأمر ، وبطَل العمل .

•

وقال الأحنف بنُ قيس : مَنْ فَسدت بِطانتُه كان كمن غصَّ بالماء ، فلا مساغ له ، ومن خانه ثقاته فقد أُتي من مأمنه .

•

وقال العبَّاس بنُ الأحنف :

قَلْبي إلى ما ضَرَّني داعي ، يُكْثِر أحزاني وأوجاعي
كَيف احتراسِي من عدوي ، إذا كان عدوّي بين أضلاعي ؟

وقال آخر :

كنتُ من كُرْبتي أفِرُّ إليهم ، فهمُ كُربتي فأين الفِرارُ ؟

وأول من سبق إلى هذا المعنى عَدِيُّ بن زيد في قوله للنعمان ابن المُنْذِر :

لو بغَير الماء حَلْقي شَرِق ، كنت كالغَصّان بالماء اعتِصاري[1]

وقال آخر :

إلى الماء يَسْعى من يغَصّ بريقه ، فقُل أين يَسْعى من يَغَصّ بماءِ؟

•

وقال عمرو بن العاص : لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعَدْل .

•

وقالوا : إنما السلطانُ باصحابهِ كالبحر بأمواجِه .

•

وقالوا: ليس شيء أضرّ بالسلطان من صاحبٍ يُحسِنُ القولَ، ولا يُحسِنُ الفعْل . ولا خير في القول إلا مع الفعل ، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصّدق إلا مع الوفاء، ولا في الفِقْه إلا مع الورَع، ولا في الصّدقة إلا مع حُسن النيةِ، ولا في الحياة إلا مع الصِحة .

•

وقالوا : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ، ولم يُنْتفع منه بمنفعة ، وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكونُ فيه التّمساحُ، فلا يستطيع أحدٌ أن يدخُله، وإن كان مُحتاجاً اليه .

---

١ الاعتصار : ازالة الغصة بالماء قليلًا قليلًا .

صفة الامام العادل

كتب عُمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحَسن بنِ أبي الحسن البصريّ أن يكتبَ اليه بصِفة الإمامِ العادل، فكتب اليه الحسنُ رحمه الله: اعلم، يا أمير المؤمنين، أن الله جَعلَ الامام العادل قِوامَ كلّ مائلٍ، وقَصْدَ كلّ جائر، وصَلاحَ كل فاسد، وقُوّة كل ضعيف، ونَصَفة كلّ مظلوم، ومَفْزع كل مَلْهوف[1].

والامامُ العَدْلُ، يا أميرَ المؤمنين، كالراعي الشّفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها اطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحْميها من السباع، ويُكنّها من أذى الحرّ والقرّ.

والامام العدل، يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلّمهم كباراً؛ يكتسب لهم في حياته، ويدّخِر لهم بعد مماته.

والامام العدل، يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقةِ البَرّة الرفيقة

---

١ المظلوم ينادي ويستغيث.

بولدها ، حَملته كرْهاً ، ووضعته كرْهاً ، وربته طفلًا ، تسهر بسَهره وتَسْكن بسكونه ، تُرضعه تارةً وتفْطِمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتَغتمُّ بشِكايته .

والامام العدل ، يا أمير المؤمنين ، وصيُّ اليتامى ، وخازن المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم .

والامام العدل ، يا أمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسُد بفساده .

والامام العدل ، يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبينَ عباده ، يسمع كلام الله ويُسمِعُهم ، وينظر الى الله ويُريهم ، وينقاد إلى الله ويقودُهم . فلا تكن ، يا أمير المؤمنين ، فيما ملَّكك الله كعبدٍ ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وفرَّق ماله .

واعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ! وأنّ الله انزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم !

واذكر ، يا أمير المؤمنين ، الموتَ وما بعده ، وقِلةَ أشياعك عنده ، وأنصارِك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر[1] .

---

١ الفزع الاكبر : يوم الدين .

واعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ، ويُفارِقُك احباؤك ، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً، فتزوّد له ما يصحَبُك يوم يفِرُّ المرءُ من أخيهِ وأُمّهِ وأبيهِ وَصاحِبَتِه وبنيهِ .

واذكر ، يا أمير المؤمنين : إذا بُعثر ما في القُبور وحُصِّل ما في الصُّدُور ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

فالآن، يا أمير المؤمنين ، وأنت في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل ؛ لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لا يرْقبون في مُؤمِن إلاًّ[1] ولا ذمّةً، فتَبوءَ بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك، وتحْمِلَ أثقالك وأثقالاً مع أثقالِك؛ ولا يغُرنّك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيِّبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك ؛ ولا تنظر إلى قُدْرتك اليوم، ولكن انظر الى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموتِ ، وموقوفٌ بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عنَت[2] الوجُوهُ للحَيِّ القَيُّوم[3] .

---

١ الال : العهد .

٢ عنت : خضعت وذلت .

٣ القيوم : الذي لا بدء له والقائم بذاته ، وهو من اسمائه تعالى .

إني ، يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي ، فلم آلك[1] شفقة ونصحاً ، فأنزل كتابي اليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدويةَ الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

١ آلك : اقصر وابطىء .

هيبة الامام في تواضعه

قال ابن السمّاك لعيسى بن موسى : تواضُعك في شرفِك أكبر من شرفِك .

•

وقال عبد الملك بنُ مَروان: أفضل الرجال مَن تواضع عن رفعةٍ ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

•

ذُكر عن النجاشي أمير الحبشة : أنه أصبح يوماً جالساً على الأرض والتاج على رأسه ، فأعظم ذلك اساقفته ، فقال لهم : إني وجدتُ فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام ، يقول له : إذا أنعمتُ على عبدي نعمةً فتواضع لها أتممتُها عليه، وإني ولد لي الليلة غلامٌ فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى .

•

وقال ابن قُتيبة: لم يُقَل في التواضع بيت أبدع من قول الشاعر[1] في بعض خلفاء بني أُمية :

---

١ الشاعر : هو الفرزدق . وبيته المروي لم يقله في بعض خلفاء بني امية وانما قاله في زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

يُغْضي حَياءً ويُغْضَى من مَهابته، فما يُكلَّم إلا حين يَبْتَسِمُ

وأحسن منه عندي قول الآخر :

فَتى زادَه عِزُّ المهابةِ ذِلةً ، فكلُّ عَزيزٍ عندهُ مُتواضعُ

وقال أبو العتاهية :

يا مَن تَشرَّفَ بالدُّنيا وَطِينتها ،
ليس التشرُّفُ رفعَ الطِّينِ بالطينِ

إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهِمُ ،
فانظُر إلى مَلِكٍ في زيِّ مِسْكينِ

ذاك الذي عَظُمت في الله نِعْمتُه ،
وذاك يصلُح للدُّنيـــا وللدِّينِ

•

وقال الحسنُ بن هانىء في هَيبة السلطان مع مَحبة الرعية :

إمامٌ عليه هَيْبة وَمحبَّة ؛ ألاحبّذا ذاك المَهيبُ المُحبَّبُ

وقال آخر في الهَيبة ، وإن لم تكن في طريق السلطان :

بنَفْسِيَ مَنْ لو مَرَّ بَرْدُ بَنانه
على كَبِدي ، كانت شِفَاءً أنامِلُهْ

ومَنْ هابَني في كلِّ شيء وهِبْتُه ،
فلا هو يُعْطِيني ، ولا أنا سائِله

وقال آخر في الهيْبة :

أهاشمُ ! يا فَتى دِينٍ ودُنْيـــا ،
ومنْ هُو في اللُّباب مِن اللُّبابِ

أهابُك أن أبوحَ بذاتِ نَفْسي ؛
وتَركي لِلعِتاب من العِتَـــاب

وقال أشجع بن عمرو في هيْبة السلطان :

مَنَعَتْ مهابتُك النفوسَ حَدِيثَها
بالشَّيء تَكْرهه ، وإن لم تَعْلمِ

ومِنَ الوُلاة مُفخَّم لا يُتَّقَى ،
والسيفُ تَقْطُر شَفْرتاه من الدَّم

وقال أيضاً لهارونَ الرشيد :

وعَلى عَـدوِّك ، يابنَ عم محمَّد ،
رَصَدانِ : ضوءُ الصُّبحِ والإظلامُ

فإذا تنبَّه رُعْتَـه ، وإذا غَفـــا
سَلَّت عليـه سُيوفَـك الأحـلامُ

وقال الحسنُ بن هانىء فأفرط :

مَلِك تَصوَّر في القلوب مِثالهُ
فكأنَّه لم يَخْلُ منـــه مكانُ

ما تَنْطوي عنه القُلوب بفَجْرَة ،
إلا يكلِّمُه بهـا اللَّحَظان[1]

حتى الذي في الرَّحْمِ ، لم يَكُ صُورة ،
لفؤاده من خَوْفِه خَفَقان

فمجازُ هذا البيتِ في إفراطه أنّ الرجلَ إذا خاف شيئاً وأحبَّه أحبَّه بسَمْعِه وبَصرِه وشَعْرِه وبشَرِه ولحمِه ودَمِه وجميعِ أعضائِه ، فالنُّطَفُ التي في الأصلاب داخلة في هذه الجملة . قال الشاعر :

ألا تَرْثي لمُكتَئِب يُحبُّك لحْمُه ودَمُهْ ؟

وقال المكفوف في آل محمد :

أُحبُّكم حُبّاً ، على الله اجرُه ، تضَمَّنه الأحشاءُ واللَّحمُ والدمُ

ومثلُ هذا قول الحسن بن هانيء :

وأَخَفْتَ أهلَ الشِّركِ حتى إنّه لتخافُك النُّطَفُ التي لم تُخلقِ

فإذا خافه أهل الشِّرك خافتْه النُّطفُ التي في أصلابهم ، على المجاز الذي ذكرناه .

ومجاز آخر : أن النطف التي أخذ الله ميثاقها يجوز أن يضاف

---

١ الفجرة : الانبعاث في المعاصي . اللحظان : النظر بمؤخر العين .

اليها ما هي لا بُدَّ فاعلةٌ من قبلِ أن تفعَله، كما جاء في الأثر: إن الله عزّ وجلّ عرَض على آدم ذرّيَّتَه فقال: هؤلاءِ أهلُ الجنَّة، وبعمَل أهل الجنة يعمَلون، وهؤلاء أهلُ النار، وبعمل أهل النار يعملون.

وها أنا أقول في الهيبة:

يا مَنْ يُجرِّدُ من بَصيرته، تحتَ الحوادثِ، صارم العزْمِ
رُعتَ العدوَّ، فما مَثُلْتَ له إلا تفَزّعَ منك في الحُلْمِ
أضحى لك التّدْبيرُ مُطَّرِداً، مِثْل اطّرادِ الفِعْل للاسم
رفعَ الحسودُ إليك ناظرَه، فرآك مُطَّلعاً مع النَّجْم

•

أبو حاتم سهل بن محمد، قال: أنشدني العُتْبيُّ للأخطل في معاوية:

تَسمو العُيون إلى إمامٍ عادلٍ، مُعطى المَهابةِ نافعٍ ضرّارِ
ونرى عليه، إذا العُيونُ لمحْنَه، سِيما الحَليمِ وهَيْبةَ الجبّار

حسن السيرة والرفق بالرعية

قال الله تعالى لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، فيما أوصاه به من الرِّفقِ بالرعية : ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانْفضُّوا منْ حولكَ .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير كله ، ومن حُرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخيرِ كله .

•

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى سالم بنِ عبد الله ومحمد بن كعب ، فقال لهما : أشيرا عليَّ؛ فقال له سالم : اجعل الناس اباً وأخاً وابناً ، فَبرَّ أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك . وقال محمد بن كعب: أحبب للناس ما تُحبُّ لنفسِك، واكره لهم ما تكره لنفسك ، واعلمْ أنك أوّلُ خليفةٍ يموتُ .

•

وقال عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت، ما لك لا تُنفِذُ الأمورَ ؟ فوالله لا أُبالي في الحقّ لو غَلت بي وبك القدور .

فقال له عمر : لا تَعجل يا بنيّ، فإن الله تعالى ذمَّ الخمرَ في القرآن مرتين وحرَّمها في الثالثة ، وأنا أخاف ان أحمل الناس على الحق جملة فيدفَعوه وتكون فتْنة .

•

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِيّ بن ارطاة: أما بعدُ، فان أمْكَنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك ، واعلم أن ما لك عندَ الله مثلُ ما للرعيةِ عندك .

•

وقال المنصور لولده المهدي: لا تُبرِم أمراً حتى تفكّر فيه، فإن فكرة العاقل مرآةٌ تريه حسناته وسيّئاته؛ واعلم أن الخليفة لا تُصلحه إلا التّقوى، والسلطان لا تصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل ؛ وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

•

وقال خالد بن عبد الله القَسْري لبلال بن أبي بُردة : لا يحملنك فضل المقدرة على شدة السطوة ، ولا تطلب من رعيتك إلا ما تبذله لها، فإن الله مع الذِينَ اتّقَوا والذِينَ هُم محسنُون.

•

وقال أبو عبيد الله كاتبُ المهدي : ما أحوج ذا القُدْرةِ

والسلطان إلى دِينٍ يحْجُزه ، وحياء يكُفُّه ، وعقل يَعْقِله ، وتجربة طويلة ، وعينٍ حَفيظةٍ ، وأعراق تسري اليه، وأخلاق تسهل الامورَ عليه؛ وإلى جليسٍ شفيق، وإلى عين تبصر العواقب وقلب يخاف الغِيَر . ومن لم يعرف لؤم الكِبْر لم يَسْلَم من فَلَتات اللِسان ، ولم يَتعاظَم ذنباً وإن عَظُم ، ولا ثَناءً وإن سَمُح .

•

وكتب أردشير إلى رعيته: من أردشير المؤيد ملِك الملوك ووارث العُظماء إلى الفُقهاء الذين هم حَمَلة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة[1] ، والكتّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوي الحرث[2] الذين هم عماد البلاد : السلام عليكم ، فإنّا نحمد الله اليكم سالمون، فقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتِنا بها إتاوتها[3] الموظفة عليها ، ونحن مع ذلك كاتبون بوصية فاحفظوها ، لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو، ولا تحتكروا فيشملكم القحط، وتزوجوا في الأقارب فإنه أمسُّ[4] للرَّحِم وأثبت للنسب، ولا

---

١ اراد بالبيضة بيضة الملك ، اي حوزته وساحته .

٢ ذوي الحرث : الزراع .

٣ الاتاوة : خراج الارض .

٤ أمس اسم تفضيل من مست بك رحم فلان : اذا كانت بينكما قرابة قريبة .

تَعدُّوا هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تُبقي على أحد ، ولا تَرفضُوها فإن الآخرة لا تُدرَك إلا بها .

•

ولما انصرف مروان بنُ الحكم من مِصْرَ إلى الشام استعمل عبدَ العزيزِ ابنه على مِصر، وقال له حين ودعه: أرسِل حكيماً ولا توصه . أي بُنيّ ، انظر إلى عمالك ، فإن كان لهم عندك حقّ غُدْوةً فلا تؤخِّره إلى عشيّة ، وإن كان لهم عشيّةً فلا تؤخره إلى غُدوة ، وأعطهم حقوقَهم عند محلّها ، تَستوجبْ بذلك الطاعة منهم .

وإياك أن يظهر لرعيتِك منك كَذِب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدّقوك في الحق .

واستشر جلساءك وأهلَ العلم ، فإن لم يَستَبِن لك فاكتب إلي يأتِك رأيي فيه إن شاء الله تعالى . وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذْه به عند سورة الغضب ، واحبس عقوبتَك حتى يَسْكنَ غضبُك ، ثم يكونُ منك ما يكونُ وأنت ساكنُ الغضبِ منطفىء الجَمْرة ، فإن أوّل مَن جعل السجنَ كان حليماً ذا أناة .

ثم انظر إلى أهل الحَسب والدِّين والمُروءة ، فَليكونوا أصحابَك وجلساءك ، ثمّ اعرف منازلهم منك على غيرهم على

غيرِ استرسال ولا انقباض ؛ أقول هذا وأستخلِفُ الله عليك.

•

أبو بكر بن أبي شَيبة عن عبدالله بن مُجالد عن الشَّعبي ، قال : قال زياد : ما غلَبني أميرُ المؤمنين معاويةُ في شيء من السياسة إلا مرّة واحدة ، استعملتُ رجلًا فكَسر خراجَه ، فخَشي أن أعاقبَه ففرَّ اليه واستجار به فأمّنه ، فكتبتُ اليه: إن هذا أدب سوءٍ[1] مَنْ قِبَلي .

فكتب إليَّ: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا لَينٍ جميعاً فتمرح الناسُ في المعْصية ، ولا نشتدُّ جميعاً فنَحْمِل الناسَ على المهالك، ولكن تكون أنت للشدّةِ والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

---

١ سوا : افسد .

ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

قالتِ الحكماء: أحزمُ الملوك من قَهر جِدُّه هَزلَه، وغلب رأيُه هواه ، وأعربَ عن ضميره فِعلُه، ولم يخدعه رضاه عن سُخطه ، ولا غضبُه عن كيْده .

•

وقال عبدُ الملك بنُ مَروانَ لابنِه الوليدِ، وكان وليَّ عهده: يا بنيّ ، اعلم أنه ليس بين السُّلطان وبين أن يملك الرعيّة او تَملكَه الرعيّةُ إلا حزْمٌ أو توانٍ .

•

وقالوا : لا ينبغي للعاقل أن يَستصغر شيئاً من الخطإ أو الزّلل، فإنه متى ما استصغرَ الصغيرَ يُوشِك أن يقع في الكبير؛ فقد رأينا المُلوك تؤتى من العدوّ المُحتَقَر ، ورأينا الصحة تؤتى من الدّاء اليَسير ، ورأينا الأنهار تتدفّق من الجداول الصّغار .

•

وقالوا : لا يكون الذمُّ من الرعية لراعيها إلا لاحدى ثلاث: كريمٌ قُصّر به عن قَدره فاحتمل لذلك ضِغْناً، أو لئيمٌ بُلِغ به

إلى ما لا يستحق فأورثه ذلك بَطراً، أو رجلٌ مُنع حظَّه من الانصاف فشكا تفْريطاً[1] .

•

ومن كتاب للهند : خَير الملوكِ مَن أشبه النَّسرَ حولَه الجيَفُ ، لا مَن أشبه الجِيَفَ حولها النُّسور .

•

وقيل لملِكٍ سُلِب مُلكه : ما الذي سَلَبَكَ مُلْكَكَ ؟ فقال : دفْع شُغل اليومِ إلى غدٍ ، والتماسُ عُدةٍ بتضييع عدد ، واستكفاء كلِّ مخدوعٍ عن عقله . والمخدوعُ عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقُّه ، أو أُثيب ثواباً لا يَسْتوجِبه .

•

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمرُّ مرَّ السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عَين .

•

وكان عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه أحزمَ الخلفاء ، وكانت عائشةُ رضي الله عنها إذا ذُكر عُمرُ قالت: كان والله أحوزيّاً[2] نسيجَ وحدِه ، قد أعدَّ للأمور أقرانها[3] .

•

---

١ التفريط : التقصير .

٢ الأحوزي : الحاذق ، الحسن السياق للأمور .

٣ أقرانها : أكفاؤها .

وقال المُغيرة بن شُعبة : ما رأيتُ أحداً هو أحزمُ من عمر، كان والله له فضْل يمنعُه أن يخدَع ، وعقلٌ يمنَعُه أن يُخْدع .

•

وقال عمر : لست بخَبّ[1] ، والخبّ لا يخْدعني .

•

ومر عمر ببُنْيانٍ يُبنى بآجرٍّ وجصّ فقال : لمن هذا ؟

قيل : لعاملِك على البَحْرين .

فقال : أَبَتِ الدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها .

فأرسلَ اليه فشاطرَه ماله .

•

وكان سعد بنُ أبي وقّاص يقال له: المُستَجاب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة سعد. فلمّا شاطره عُمرُ ماله، قال له سعد : لقد هممت .

قال له عُمر : بأن تدعو عليّ ؟

قال : نعم .

قال : إذاً لا تجِدُني بدُعاء ربي شقِيّاً .

•

وهجا رجل من الشعراء سعدَ بنَ أبي وقّاص يومَ القادسيّة، فقال :

---

١ الخب : المحتال الخداع .

ألم ترَ أنَّ اللهَ أظهرَ دينَه ، وسعدٌ ببابِ القادسية مُعصِمُ[1]
فأبْنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرة ؛ ونِسوةُ سَعْدليسَ فيهنَّ أيِّمُ[2]

فقال سعد: اللهم اكفني يده ولسانه؛ فقُطِعت يدُه وبَكِم لسانُه .

•

ولما عزل عمرُ أبا موسى الأشعري عن البَصْرة وشاطره ماله، وعزل أبا هريرة عن البَحرين وشاطره ماله ، وعزل الحارثَ بنَ كَعْب بنِ وهْب وشاطره ماله ، دعا أبا موسى فقال له : ما جاريتانِ بلغني أنهما عندك ، إحداهما عقيلةُ ، والأخرى من بنات الملوك ؟

قال : أما عقيلة فإنها جاريةٌ بيني وبين الناس ، وأما التي هي من بنات الملوك فإني أردت بها غلاء الفداء .

قال : فما جَفْنتان تُعْمَلانِ عندك ؟

قال : رزقتَني شاةً في كل يوم ، فيُعمَل نِصفُها غُدوةً ونِصفُها عَشيَّة .

قال : فما مكيالان بلغني انهما عندك ؟

قال : أما أحدهما فأوفّي به أهلي ودَيْني ، وأما الآخر

---

١ معصم : معتصم .

٢ آمت نساء : فقدن ازواجهن .

فيتعامل الناس به .

فقال : ادفع إلينا عقيلةَ ، والله إنك لمؤمنٌ لا تَغُلّ[1] ، أو فاجرٌ مُبِلّ[2]، ارجع إلى عَملك عاقصاً بقَرْنك[3]، مكتسعاً بذَنَبِك[4] ، والله إن بلغني عنك أمرٌ لم أُعِدك .

ثم دعا أبا هُريرة فقال له: علمتَ من حين أني استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نَعلين ، ثم بلغني أنك ابتعتَ أفراساً بألف دينار وستمائة دينار ؟

قال : كانت لنا أفراس تناتجت ، وعطايا تلاحقت .

قال: قد حَسبتُ لك رزقك ومؤونَتك وهذا فضلٌ فأدِّه.

قال : ليس لك ذلك .

قال : بلى والله وأُوجِعُ ظهرك .

ثم قام اليه بالدِّرّة فضربه حتى أدماه ، ثم قال : ائتِ بها .

قال : احتسبتها عند الله .

قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً، أجئتَ من أقصى حَجْر بالبحرين يجْبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين! ما رجعت[5]

---

١ لا تغل : لا تخون .

٢ المبل : الغالب بحجته .

٣ عاقصاً بقرنك : عاقداً اياه ولاوياً به . والقرن : الذؤابة .

٤ الاكتساع بالذنب في الخيل والكلاب : أن تدخل أذنابها بين ارجلها .

٥ ما رجعت بك : ما ولدتك .

بك اميمة إلا لِرعْية الحُمُر .

وأُميمة أمّ أبي هُريرة .

•

وفي حديث أبي هُريرة ، قال : لما عزلني عُمر عن البحرين قال لي : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، سرقتَ مالَ الله ؟

قال: فقلت: ما أنا عدوُّ الله ولا عدوُّ كتابه، ولكني عدوٌّ من عاداهما ، ما سرقتُ مالَ الله .

قال : فمن أين اجتمعت لك عشرةُ آلاف ؟

قلت : خيل تناتجت ، وعطايا تلاحقت ، وسِهامٌ تتابعت .

قال : فقبضها مني ، فلما صلّيتُ الصبحَ استغفرت لأمير المؤمنين ؛ فقال لي بعد ذلك : ألا تعمل ؟

قلت : لا .

قال : قد عَمِل مَنْ هو خير منـــك ، يوسفُ صلواتُ الله عليه .

قلت : يوسف نبيّ وأنا ابن أُميمة، أَخشى أن يُشْتَمَ عِرضي ويُضرَبَ ظهري ويُنزع مالي .

قال : ثم دعا الحارثَ بنَ وَهب ، فقال : مـــا قِلاص وأَعْبُد بِعتَها بمائتي دينار ؟

قال : خرجت بنفقة معي فتجِرْت فيها .

فقال : أما والله ما بَعثْناكم لتتَّجِروا في أموال المسلمين، أدّها .

فقال : أما والله لا عَملت عملاً بعدها أبداً .

قال : انتظر حتى أستعملك !

•

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، وكان عامله على مصر : من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عَمْرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنه بلغني أنك فشت لك فاشيةٌ من خَيْل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبْل ذلك أن لا مال لك، فاكتب اليَّ من أين أصْلُ هذا المالِ ولا تكتمْه .

فكتب اليه عمرو بن العاص : الى عبد الله أمير المؤمنين ، سلام عليك، فاني احمد اليك الله الذي لا إله الا هو، أما بعد، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي، وإني أُعلم أمير المؤمنين أني ببلدٍ السِّعرُ به رخيصٌ، وأني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالجه أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سَعةٌ ؛ وبالله لو رأيتُ خيانتك حلالاً ما خُنتك ، فأقصر أيها الرجل، فإن لنا أحساباً هي خيرٌ من العمل لك، ان رجعنا اليها عِشْنا بها؛ ولعَمري انَّ عندك من لا يَذُمُّ معيشته ولا تُذَمُّ له . وذكرتَ أنَّ عنـــدك من المُهاجرين

الاولين من هو خيرٌ مني، فأنّى كان ذلك ولم نفتح قفلك، ولم نشركك في عملك ؟

فكتب اليه عمر : أما بعد ، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطّر ، ونَسْقِك الكلام في غير مرجع ، وما يُغني عنك أن تزكي نفسك، وقد بعثتُ اليك محمد بن مَسلمة فشاطره مالك، فإنكم أيها الرّهط الأمراء جلستم على عيون المال ثم لم يعوزكم عُذْر، تجمعون لأبنائكم ، وتمهّدون لأنفسكم ؛ أما إنكم تجمعون العار، وتورّثون النار ، والسلام .

فلما قدم عليه محمدُ بنُ مَسلمة صنع له عمرو طعاماً كثيراً، فأبى محمدُ بن مَسلمة أن يأكل منه شيئاً، فقال له عمرو: اتحرّمون طعامَنا ؟

فقال : لو قدّمت اليّ طعامَ الضيفِ أكلته ، ولكنّك قدّمت الي طعاماً هو تقدمة شرّ . والله لا أشرَبُ عندك الماء، فاكتب لي كلّ شيء هو لك ولا تكتمه .

فشاطره ماله بأجمعه، حتى بقيت نعلاه فاخذ احداهما وترك الأخرى . فغضب عمرو بن العاص، فقال : يا محمدُ بنَ مسلمة: قبّح الله زماناً عمرو بنُ العاص لِعمرَ بنِ الخطاب فيه عامل ، والله اني لأعرف الخطّاب يحملُ فوق رأسه حُزمة من الحَطب

وعلى ابنه مثلها ، وما منهما الا في نَمِرة[1] لا تبلغ رُسْغيه[2] ، والله ما كان العاصُ بنُ وائلٍ يرضى ان يلبس الدّيباج مزرّراً بالذهب .

قال له محمد : اسكت ، والله عمرُ خيرٌ منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار ؛ والله لولا الزمانُ الذي سبقك فيه لألفيت مُقتَعِد شاة يسرُّك غزرُها ويسوءك بَكؤها[3] .

فقال عمرو : هي عندك بأمانة الله .

فلم يُخبر بها عُمرَ .

•

ومن حديث زيْد بن أسلمَ عن أبيه قال : بعث معاويةُ الى عمرَ بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم[4] ، وكتب الى أبيه أبي سُفيان أن يدفع ذلك الى عُمر، وكتب الى عمر يقول: اني وجدت في حُصون الروم جماعةً من أُسارى المسلمين مُقيّدين بقيود حديد ، أنفذتُ منها هذا ليراه أميرُ المؤمنين .

فخرج الرسول حتى قَدِم على أبي سُفيان بالمال والأدهم .

---

١ النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب .

٢ الرسغ : المفصل ما بين الساق والقدم .

٣ بكؤها : قلة لبنها .

٤ الأدهم : القيد .

قال: فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب الى عُمرَ واحتبس المال لنفسه ؛ فلما قرأ عمرُ الكتـاب ، قال : فأين المالُ يا أبا سفيان ؟

قال: كان علينا دَين ومعونة، ولنا في بيت المال حقّ، فإذا أخرجتَ لنا شيئاً قاصصْتنا به .

فقال عمر : اطرحوه في الأدهم حتى يأتيَ بالمال .

قال : فأرسل أبو سفيانَ من أتاه بالمال ، فأمر عمرُ بإطلاقه من الأدهم .

قال : فلما قَدِم الرسولُ على معاوية، قال[1] : رأيتَ أمير المؤمنين أُعجِب بالأدهم ؟

قال : نعم ، وطرَح فيه أباك .

قال : ولِمَ ؟

قال : جاءه بالأدهم وحبس المال .

قال : إي والله ، والخطّابُ لو كان لطرحه فيه .

•

زار أبو سفيانَ معاويةَ بالشام ، فلما رجَع من عنده دخل على عمر ، فقال : أجِزْنا أبا سفيان .

قال : ما أصَبْنا شيئاً فنُجيزَك منه .

---

١ الضمير عائد الى معاوية .

فأخذ عمر خاتمه ، فبعث به إلى هند ، وقال للرسول : قل لها : يقول لك أبو سفيان : انظري إلى الخُرجين اللذين جئتُ بهما فأحضريهما .

فما لبِث عُمر أن أُتي بخُرجين فيهما عشرة آلاف دِرْهم ، فطرحهما عمر في بيتِ المال . فلما ولي عُثمانُ ردّهما عليه ؛ فقال أبو سفيان : ما كنتُ لآخذ مالاً عابَه عليّ عُمر .

•

ولما ولّى عمرُ بن الخطّاب عُتبةَ بنَ أبي سفيانَ الطائفَ وصَدَقاتِها ثم عزله، تلقّاه في بعضِ الطريق، فوجد معه ثلاثين الفاً ، فقال : أنّى لك هذا ؟

قال : والله ما هو لك ولا للمُسلمين، ولكنّه مال خرجتُ به لِضَيعة أشتريها .

فقال عمر : عامِلُنا وجَدْنا معه مالاً ما سبيلُه إلا بيت المال ؛ ورَفَعه .

فلما ولي عثمانُ قال لعُتْبة: هل لك في هذا المال فإني لم أرَ لأخْذ ابن الخطّاب فيه وجهاً ؟

قال : والله انّ بنا اليه لحاجةً ، ولكن لا تَرُدَّ على من قبْلكَ فيرُدَّ عليك مَن بعدك .

•

القحذمي قال: ضرب عمرُ رجلًا بالدِّرَّة فنادى: يا لَقُصيّ؛ فقال أبو سُفيان: لو قَبْل اليوم تُنادي قُصيّاً لأنتكَ منها الغَطاريف.

فقال له عمر: اسكُت لا أبا لك.

قال أبو سُفيان: ها! ووضع سبَّابته على فيه.

•

خليفة بن خيّاط قال: كتب يزيد بن الوليد، المعروف بالناقص، وانما قيل له الناقص لفرْط كماله، الى مروانَ بنِ محمد، وبلغه عنه تلكُّؤٌ في بَيْعته: أما بعدُ، فإني أراكَ تُقدِّم رِجلًا وتُؤخِّرُ أخرى، فاعتمِد على أيِّهما شئتَ، والسلام.

فأتتْه بَيْعته.

•

ولما منع أهلُ مرْو أبا غسانَ الماء وزجَّته الى الصحاري، كتب اليهم أبو غسَّان: الى بني الاساءة من أهل مَرْوَ، ليُمَسِّيَنِّي الماء أو لتُصَبِّحنَّكم الخيلُ.

فما أمسى حتى أتاه الماء، فقال: الصِّدقُ يُنبىء عنك لا الوعيد.

•

وكتب عبدُ الله بن طاهر الخُراسانيّ الى الحسن بن عمر

التَّغْلبيّ : أما بعد ، فقد بلغني ما كان من قَطْعِ الفَسَقةِ الطريقَ ما بلَغ ، فلا الطريقَ تَحْمي، ولا اللصوصَ تَكْفي، ولا الرعيّةَ تُرضي، وتطمعُ بعد هذا في الزيادة ! إنك لمُنفَسِحُ الأمل ! وايم الله لتكفينّي مَن قِبَلك أو لأوجّهنّ اليك رجالاً لا تَعرِف مُرَّةَ من جَهْم ، ولا عديّ من رُهم ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله .

•

وكتب الحجّاج بن يوسف الى قُتيبة بن مسلم ، واليه بخُراسان : أما بعد ، فإن وكيع بن حسّان كان بالبصرة منه ما كان ، ثم صار لصّاً بسِجِسْتان ، ثم صار الى خُراسان، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدم بناءه ، واحلل لواءه .

وكان على شرطة قُتَيبة فعزله ، وولى الضَّبيّ عمّ مسعودِ ابن الخطاب .

•

وبلغ الحجّاجَ أن قوماً من الأعراب يُفسِدون الطريقَ ، فكتب اليهم: أما بعد، فإنكم قد استخَفَّتكم الفتنةُ، فلا عن حقّ تقاتِلون ، ولا عن مُنكرٍ تَنْهَون ، وإني أَهِمُّ أن تَرِدَ عليكم منّي خَيلٌ تَنسِف الطارفَ والتّالدَ ، وتدَع النساء أيامى ، والأبناء يتامى ، والديارَ خراباً .

فلما أتاهم كتابه كفُّوا عن الطريق .

التعرض للسلطان والرد عليه

قالت الحكماء : من تعرَّض للسلطان أرداه، ومن تَطامن له تخطاه .

وشبّهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضُرُّ بما لانَ لها من الشجرِ ، ومالَ معها من الحشيش، وما استهدف لها من الدوح العِظام قصَفتْه . قال الشاعر :

إنَّ الرياحَ ، إذا ما أَعْصفَتْ قصفَتْ
عيدانَ نبْع ، ولا يَعْبَأنَ بالرَّتَمِ

•

وقال حبيب[1] ، وهو أحسن ما قيل في السلطان :

هو السَّيلُ، إن واجَهته انْقدْتَ طَوْعَه،
وتَقتادُه من جانبَيْـــه فيَتْبَـعُ

وقال آخر :

---

١ اراد حبيب الطائي ابا تمام .

هو السيفُ إن لاينْتَهُ لانَ مَتْنُـه ،
وحدَّاهُ ، إن خاشَنتَه ، خَشِنانِ

•

وقال معاوية لأبي الجَهم العدَويّ : أنا أكبر أم أنت ؟
فقال : لقد أكلتُ في عُرْسِ أمك يا أمير المؤمنين .
قال : عند أي أزواجها ؟
قال : عند حفص بن المُغيرة .
قال : يا أبا الجَهم، إياكَ والسلطانَ، فإنه يَغْضَبُ غضَب الصبيّ ، ويأخُذ أخذَ الأسد .

وأبو الجَهم هو القائل في معاوية :

ونُغضِبه لنَخْبُرَ حالتَيْه ، فنخبُر منهما كرَماً ولينا
نَميل على جوانبه ، كأنّا نَميل ، إذا نميل ، على أبينا

•

وقدِم عُقيبة الأسديّ على معاوية ، ورفع اليه رقعةً فيها هذه الأبياتُ :

مُعاويَ إننا بشرٌ، فأسْجح ، فلسنا بالجِبال ولا الحديدِ[1]

---

١ اسجح ، من سجح خلقه : سهل ولان .

أكلتم أرضنا ، فجَردتُموها ، فهل من قائمٍ أو من حَصيدِ؟
أتطمَعُ بالخُلود، إذا هَلكنا ، وليس لنا،ولا لك، من خُلودِ
فَهَبْنا أمّةً هلكت ضَياعاً ، يَزيدُ أميرُها وأبو يَزيدِ

فدعا به ، فقال : ما جرّأك عليّ ؟

قال : نصحتُك إذ غشُّوك ، وصَدَقتك إذ كذَبوك .

فقال : ما أظنُّك إلا صادقاً .

وقضى حوائجه .

•

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال : خَطب أبو جعفرٍ المنصورُ ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اتقوا الله .

فقام اليه رجل من عُرض الناس ، فقال : أذكّرُك الله الذي ذكّرتنا به يا أميرَ المؤمنين .

فأجابه أبو جعفر بلا فِكرة ولا روية : سمعاً وطاعة لمن ذكّر بالله ، وأعوذُ بالله أن أذكّر به وأنساه فتأخذني العزّةُ بالإثم : لقد ضللتُ إذاً وما أنا منَ المُهتدين . وأما أنت ، فوالله ما اللهَ أردتَ بها ، ولكن ليُقال : قال فعوقب فصَبر ، وأهوِن بها لو كانت ، وأنا أُحذركم أيها الناسُ أختها ، فإن

الموعظة علينا نزلت ، ومنّا أُخذت .

ثم رجع إلى موضعه من الخُطبة .

•

وقام رجل الى هارون الرشيد ، وهو يخطب بمكة ، فقال: كبُرَ مَقْتاً عِنْد اللهِ أَن تَقولوا ما لا تَفْعَلون .

فأمر به فضُرب مائةَ سَوط ، فكان يَئِنُّ الليلَ كلَّه ويقول: الموتُ! الموت! فأخبر هارون أنه رجلٌ صالح، فأرسل اليه فاستحلَّه ، فأحلَّه .

•

المدائني قال : جلس الوليدُ بنُ عبدِ الملك على المِنْبر يومَ الجُمعة حتى اصفرّتِ الشمسُ ، فقام اليه رجل، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن الوقتَ لا ينتظِرُك ، وإن الربَّ لا يَعْذِرك .

قال : صدقتَ ، ومن قال مثلَ مَقالتِك ، فلا يَنْبغي له ان يقومَ مثلَ مقامِك ، مَنْ هاهنا من أقربِ الحَرس يقوم اليه فيضرب عُنقه ؟

•

الرياشي عن الأصمعي قال : خاطر[1] رجلٌ رجلًا أن يقومَ الى معاوية إذا سجَد فيَضعَ يدَه على كفَلِه ويقول : سبحانَ

---

١ خاطر : راهن.

الله يا أميرَ المؤمنين ! ما أشبهَ عجيزَتَك بعجيزةِ أمّك هند !

ففعل ذلك . فلما انفتل معاوية عن صلاته قال : يابنَ أخي ، إنّ أبا سُفيان كان الى ذلك منها أميل ، فخُذ ما جعلوا لك ؛ فأخذه .

ثم خاطر أيضاً أن يقومَ الى زياد وهو في الخُطبة فيقول له : أيها الأمير من أبوك ؟

ففعل ؛ فقال له زياد : هذا يُخبِرُك ، وأشار الى صاحب الشُرْطة ، فقدّمه فضرب عنقه .

فلما بلغ ذلك معاوية ، قال : ما قتله غيري ، ولو أدّبتُه على الأولى ما عاد الى الثانية .

•

وخاطر رجلٌ ان يقومَ الى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول : أيها الأمير من أمّك ؟

ففعل ؛ فقال له : النابغةُ بنتُ عبد الله ، أصابتها رماحُ العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبدُ الله بن جُدْعان للعاص ابن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخُذه .

•

دخل خُريم الناعمُ على معاوية بن أبي سفيان ، فنظر مُعاوية الى ساقيْه ، فقال : أيُّ ساقين ، لو أنهما على جارية !

فقال له خُريم : في مِثل عَجيزتِك يا أمير المؤمنين .

قال : واحدة بأخرى والبادىء أظلم .

تحلم السلطان على أهل الدين

والفضل اذا اجترأوا عليه

زيادٌ عن مالكِ بن أنس قال : بعث أبو جعفر المنصور اليّ والى ابن طاوس ، فأتيناه فدخَلنا عليه ، فإذا هو جالس على فُرُش قد نُضّدت، وبين يدَيه أنطاعٌ قد بُسِطت، وجَلاوزة[1] بأيديهم السيوفُ يَضرِبون الأعناقَ . فأومأ الينا أن اجلسا ؛ فجلسنا . فأطرق عنّا طويلًا ، ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس ، فقال له : حَدّثني عن أبيك .

قال : نعم ، سمعت أبي يقولُ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنّ أشدّ الناس عذاباً يومَ القيامة رجلٌ أشركه الله في حُكمِه فأدخل عليه الجَور في عَدله .

فأمسك ساعة . قال مالِك : فضَممتُ ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دَمِه . ثم التفتَ اليه أبو جعفر ، فقال : عِظني يابن طاوس .

قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، ان الله تعالى يقول :

---

١ الجلاوزة : رجال الشرطة .

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ، إِرَمَ ذَاتِ العِمادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها في البِلادِ ، وثَمودَ الذِينَ جَابوا الصَّخْرَ بالوادِ ، وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ ، الذِينَ طَغَوا في البِلادِ ، فأَكْثَرُوا فِيها الفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ . »

قال مالك : فَضَمَمْتُ ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه .

فأمسك ساعةً حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ثم قال: يابن طاوس، ناولني هذه الدَّواة .

فأمسك عنه .

ثم قال : ناولني هذه الدواة .

فأمسك عنه .

فقال : ما يمنعك أن تُناولنيها ؟

قال: أخشى أن تَكتُبَ بها مَعْصيةً فأكون شريكك فيها.

فلما سمع ذلك قال : قوما عني .

قال ابن طاوس : ذلك ما كنتُ نبغي منذ اليوم .

قال مالك : فما زِلتُ أعرِف لابن طاوس فضله .

•

أبو بكر بن أبي شيبة قال : قام أبو هُريرة إلى مروان بنِ

الحَكم وقد أبطأ بالجمعة ، فقال له : أتظَلُّ عند ابنة فلانٍ تروِّحُك بالمَراوح وتَسْقيك الماء البارِدَ ، وأبناءُ المهاجرين والانصارُ يُصْهَرون من الحرِّ ! لقد هَمَمت أن أفعلَ وأفعلَ . ثم قال : اسمعوا من أميرِكم .

•

فرَجُ بن سلاّمٍ عن أبي حاتم عن الأصمعيّ، قال : حدّثني رجلٌ من أهل المدينة كان يَنزِل بشقّ بني زُرَيق[1] ، قال : سمعت محمدَ بن إبراهيم يحدّث قال :

سمعتُ أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر بين رجل من قُريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش، فقالوا لأبي جعفر : اجعل بيننا وبينه ابن أبي ذئب .

فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب : ما تقول في بني فلان ؟

قال : أشرارٌ من أهل بيت أشرار .

قالوا : اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد ، وكان عامله على المدينة .

قال : ما تقول في الحسن بن زيد ؟

---

١ الشق : الناحية . بنو زريق : من الانصار .

قال : يأخذ بالإحنة[1] ، ويقْضي بالهوى .

فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك بشرّ .

قال : ما تقول فيّ ؟

قال : اعفني .

قال : لا بد أن تقول .

قال : لا تعدل في الرعيّة ، ولا تَقْسم بالسويّة .

قال : فتغير وجه أبي جعفر؛ فقال ابراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي صاحب الموصل : طَهّرني بدَمه يا أمير المؤمنين .

قال : اقعُد يا بُني، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلاّ الله طَهُور .

ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام ، فقال : يا أمير المؤمنين، دَعْنا مما نحن فيه ، بلغني أن لك ابناً صالحاً بالعِراق، يعني المهديّ .

قال : أما إنك قلت ذلك ، إنه الصوّامُ القوّامُ البعيدُ ما بين الطَّرَفين[2] .

---

١ الاحنة : الحقد .

٢ البعيد ما بين الطرفين : كناية عن شرف النسب وكثرة ما له من الآباء الاشراف .

قال : ثم قام ابن أبي ذئب فخرج ، فقال أبو جعفر : أما والله ما هو بمُستوثَق العقلِ ، ولقد قال بذاتِ نفسه .

قال الأصمعي : ابن أبي ذئب ، من بني عامر بن لؤي ، من أنفُسهم .

•

قال : ودخل الحارث بن مسكين على المأمون فسأله عن مسألة ، فقال : أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون الرشيد .

وذكر قوله فلم يُعجب المأمون ، فقال : لقد تَيَّست فيها وتَيَّس مالك .

قال الحارثُ بنُ مسكين : فالسامع ، يا أمير المؤمنين ، من التَّيْسين أتيس .

فتغير وجه المأمون ، وقام الحارث بن مسكين فخرج ، وتندّم على ما كان من قوله ؛ فلم يستقرّ في منزله حتى أتاه رسول المأمون ، فأيقن بالشرّ ، ولبس ثيابَ أكفانه ، ثم أقبل حتى دخل عليه ، فقرّبه المأمون من نفسه ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال له : يا هذا ، ان الله قد أمر مَن هو خيرٌ منك بإلانةِ القولِ لمن هو شرّ مني ، فقال لنبيّه موسى ، صلى الله عليه وسلم ، إذ أرسله الى فرعون : فَقُولا لهُ قَولاً لَيِّناً لعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشى .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أبوءُ بالذَّنب وأستغفرُ الرب .

قال : عفا الله عنك ، انصرِفْ إذا شئت .

•

وأرسل أبو جعفر الى سُفيان الثوريّ ، فلمّا دخل عليه قال : عِظني أبا عبد الله .

قال : وما عمِلتَ فيما علِمتَ فأعِظَك فيما جهلت ؟

فما وجد له المنصور جواباً .

•

ودخل أبو النضر سالمٌ مولى عمرَ بنِ عبد الله على عامل للخليفة فقال له : أبا النضر ، إنّا تأتينا كُتبٌ من عند الخليفة فيها وفيها ، ولا نَجِد بُدّاً من انفاذها ، فما ترى ؟

قال له أبو النَّضر : قد أتاك كتابٌ من الله تعالى قبلَ كتاب الخليفة ، فأيهما اتبعت كنتَ من أهله .

•

ونظير هذا القول ما رَواه الأعمشُ عن الشَّعْبي : أن زِياداً كتب الى الحكم بن عمرو الغِفاري ، وكان على الصَّائفة[1] : إنّ أمير المؤمنين[2] كتب إليّ أن أصْطفي له الصَّفراء والبيضاء ،

---

١ الصائفة : الغزاة في زمن الصيف .

٢ يريد معاوية .

فلا تَقْسِم بين الناسِ ذهباً ولا فضّة .

فكتب اليه : اني وجدتُ كتابَ الله قبلَ كتاب أمير المؤمنين ، والله لو ان السموات والأرض كانتا رتقاً[1] على عبد فاتقى الله لجعلَ له منهما مَخرجاً .

ثم نادى في الناس ، فقسّم فيهم ما اجتمع من الفيء .

•

ومثله قولُ الحسن[2] حين أرسل اليه ابنُ هُبيرة وإلى الشعبي، فقال له : ما ترى أبا سَعيد في كُتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها ، فإن أنفذتُها وافقتُ سخط الله ، وإن لم أُنفذها خَشيت على دمي ؟

فقال له الحسن : هذا عندك الشعْبي فَقيه الحجاز .

فسأله، فرقّق له الشّعْبي وقال له: قارِب وسدِّد، فإنما أنت عبدٌ مأمور .

ثم التفت ابنُ هبيرة الى الحسن وقال : مـــا تقول يا أبا سعيد ؟

فقال الحسن : يابن هبيرة ، خفِ الله في يزيد ولا تَخف يزيدَ في الله ؛ يابن هبيرة ، ان الله مانعُك من يزيد وان يزيد

---

١ رتقاً : مسدودتين .

٢ يريد الحسن البصري .

لا يمنعك من الله؛ يابن هبيرة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب اليك فيه يزيدُ فاعرضه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه، وما خالف كتاب الله فلا تُنْفِذه، فإن الله أولى بك من يزيد ، وكتاب الله أولى بك من كتابه.

فضرب ابن هبيرة بيده على كتِف الحسن وقال: هذا الشيخ صدقني وربِّ الكعبة. وأمر للحسن بأربعة آلاف درهم وللشعبيّ بألفين . فقال الشعبي : رقَقنا فرقّق لنا .

فأما الحسنُ فارسلَ الى المساكين ، فلما اجتمعوا فرّقها ، وأما الشعْبي فإنه قبلها وشكر عليها .

•

ونظير هذا ، قول الاحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلاف يزيد ، فسكت عنه ؛ فقال : ما لك لا تقول؟

فقال : ان صدقناك أسخطناك، وان كذبناك اسخطنا الله، فسُخْط أمير المؤمنين أهونُ علينا من سُخطِ الله . فقال له : صدقت .

•

وكتب أبو الدَّرْداء الى معاوية : أما بعد، فإنه من يلتمس رضا الله بسُخط الناس كفاه الله مؤونة الناسِ ، ومن التمَس رضا الناس بسُخط الله وكَلَه الله إلى الناس .

•

وكتبت عائشةُ رضي الله عنها الى معاوية : أما بعدُ ، فانه من يعمل بمساخط الله يَصِرْ حامِدُه من الناس ذامّاً له، والسلام.

•

أبو الحسن المدائني قال: خرج الزُّهريّ يوماً من عند هِشَام فقال : ما رأيت مثلَ أربع كلمات تكلم بها اليوم انسان عند هشام !

قيل له : وما هنّ ؟

قال : دخل رجل على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عنّي أربع كلمات فيهن صلاح مُلكِك، واستقامة رعيتك.

فقال: هاتِهِن؛ فقال : لا تَعِدَنّ عِدَة لا تَثِق من نفسِك بإنْجازها .

قال : هذه واحدة فهات الثانية .

قال : لا يغُرنّك المُرتَقى وان كان سَهلًا اذا كان المنحدر وعْراً .

قال : هات الثالثة .

قال : واعلم أن للأعمال جزاء فاتّقِ العواقب .

قال : هات الرابعة .

قال : واعلم أن للأمور بَغَتات فكُن على حذر .

•

قعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم . فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوصِ به خيراً .

•

وقال عبدُ الملك بنُ مَرْوان للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة : ما كان يقول الكذّاب في كذا وكذا ؟ يَعني ابنَ الزُّبير .

فقال : ما كان كذّاباً .

فقال له يحيى بنُ الحكم : مَن أمّك يا حارِ ؟

قال : هي التي تعْلم .

قال له عبدُ الملك : اسكُت فهي أنجبُ من أُمّك .

•

دخل الزُّهريّ على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدّثنا به أهلُ الشام ؟

قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : يحدّثوننا ان الله اذا استرعى عبداً رعيّته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات .

قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ، أنبيّ خليفةٌ أكرمُ على الله

أم خليفة غير نبيّ ؟

قال : بل نبيّ خليفة .

قال : فان الله تعالى يقول لنبيّه داود : « يا داودُ إنّا جَعَلْنَاكَ خَليفَةً في الأرْضِ فاحْكُمْ بَينَ النَّاسِ بالحقّ ولا تَتَّبِعِ الهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، إنَّ الذينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَومَ الحِسَابِ . » فهذا وعيدٌ يا أمير المؤمنين لنبيّ خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبيّ ؟

قال : ان الناس ليُغوونا عن ديننا .

•

الأصمعي عن اسحاق بن يحيى عن عطاء بن يسار ، قال : قلت للوليد بن عبد الملك : قال عمر بن الخطاب : وددْت أني خرجت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي .

فقال : كذَبْت .

فقلت: أوَ كُذِّبْتُ؟ فما أفلتُ منه إلاّ بجُرَيعة الذقَن[1] .

---

١ يريد الا وقد أشرف على التلف .

المشورة

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ، ولا خاب من استخار .

وقد أمر الله تعالى نبيَّه عليه الصلاة والسلام بمُشاورَة من هو دونه في الرأي، فقال: «وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى الله . »

•

ولما هَمَّت ثَقيفُ بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، استشاروا عُثمانَ بن أبي العاص ، وكان مُطاعاً فيهم ، فقال لهم : لا تكونوا آخر العربِ اسلاماً، وأوّلَهم ارتداداً . فنفعهم الله برأيه .

•

وسُئِلَ بعضُ الحُكماء : أيُّ الأمور أشدُّ تأييداً للفتى وأيُّها أشدُّ إضراراً به ؟

فقال : أشدُّها تأييداً له ثلاثة أشياء : مُشاورةُ العلماء ، وتجربةُ الأمور ، وحُسن التَثَبُّتِ ؛ وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبدادُ والتهاون والعجلة .

•

وأشار حكيمٌ على حكيم برأي فقال له : لقد قلتَ بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلِط حُلْو كلامه بمُرّه، وسهلَه بوَعره؛ ويحرّك الإشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره، وقد وعيتُ النصحَ وقَبِلْته ، إذ كان مصدرُه مِنْ عند مَنْ لا يُشَكُّ في مودّته وصفاءِ غيْبِه ، ونُصحِ جَيْبه ؛ وما زلتَ بحمد الله الى الخير طريقاً واضحاً ، ومناراً بيّناً .

•

وكان عبد الله بن وهب الراسبيّ يقول: ايّاكم والرأيَ الفطير[1]. وكان يستعيذ بالله من الرأي الدَّبَري[2] .

•

وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشّيخ خير من مشهدِ الغلام .

•

وأوصى ابنُ هُبيرة ولده فقال: لا تكن أول مُشير، واياك والرأيَ الفطير ؛ ولا تشيرنّ على مستبدٍّ ، فان التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

•

---

١ الرأي الفطير : البديهي يعطى دون تروٍ .

٢ الرأي الدبري : الذي يسنح بعد فوات الحاجة .

وكان عامرُ بن الظَّرِب حاكمُ العربِ يقول : دعُوا الرأي يَغِبّ[1] حتى يختمِر، واياكم والرأيَ الفطير. يريد الأناة في الرأي والتثبُّتَ فيه .

•

ومن أمثالهم في هذا قولهم : لا رأي لمن لا يطاع .

•

وكان المهلب يقول : ان من البلية أن يكون الرأي بيَدِ منْ يملِكه دون من يبصِره .

•

العُتبي قال : قيل لرجل من عَبْس : ما أكثر صوابكم !
قال : نحن ألفُ رجل وفينا حازمٌ واحدٌ، فنحن نشاوره، فكأنّا ألفُ حازم .

•

قال الشاعر :

الرأيُ كالليلِ مُسْودّ جَوانبُه ؛
والليلُ لا يَنْجَلي إلا بإصْباحِ

فاضمُمْ مَصابيحَ آراءِ الرجال الى
مِصْباح رأيك، تزْدَدْ ضوءَ مِصباحِ

•

---

١ يغب : يبيت .

العُتبي قال : أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الاعلى، وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده .

قال : ثم رأيته وإنه ليُتَّقى كما يُتَّقى البعيرُ الأجربُ ؛ فقال لي : يا أخا العراقِ ، اتهمنا القومُ في سَريرتنا ، ولم يقبلوا منا علانِيَتَنا ، ومن ورائهم وورائنا حَكَمٌ عدل .

•

ومن أحسن ما قيل فيمن أُشيرَ عليه فلم يقبل قولُ سُبَيع لأهل اليمامة بعد ايقاع خالد بهم : يا بني حنيفة ، بُعداً لكم كما بعدت عادٌ وثمود . أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأني أسمع جرْسه وأُبصر غيبه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة ، واني لما رأيتكم تتهمون النصيح ، وتسفّهون الحليم ، استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم اللهُ التوبة ، ولا أخذكم على غِرَّة ، ولقد أمهلكم حتى ملَّ الواعظ ، ووهن الموعوظ ؛ وكنتم كأنما يُعنى بما أنتم فيه غيرُكم ، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق ، ومن نصيحتي الندامةُ ، وأصبح في يدي من هلاكِكم البكاء ، ومن ذُلّكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود، وما بقي غير مأمون.

•

وقال القَطامي في هذا المعنى :

ومَعْصية الشَّفيقِ عليك مِمّا يَزِيدك مَرّةً منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه ، وليس بأنْ تَتَبَّعه اتِّباعا
كذاك ، وما رأيتُ الناسَ الا ، الى ما جَرّ غاويهم ، سِراعا
تراهم يَغْمِزون من استركُوا ، ويجْتنِبون مَن صدَقَ المِصاعا[1]

•

وكان يقال : لا تستَشِر مُعلماً ولا حائكاً ولا راعي غنم ولا كثير القُعود مع النساء .

•

وأُنشد في المعلمين :

وكيف يُرجَّى العقلُ والرأيُ عند من
يَروحُ الى أُنثى ، ويَغْدو إلى طِفْلِ !

•

وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها .

•

وكان يقال : لا رأي لحاقن ، ولا حازق ، وهو الذي ضغطه

•

---

١ استركوا : استضعفوا . المصاع : المقاتلة والمجالدة بالسيف .

الخُفّ ، ولا لحاقب ، وهو الذي يجِد رزّاً[1] في بَطنه .

•

ويُنشَدُ في الرأي بعد فوته :

وعاجزُ الرأي مِضْياعٌ لفُرْصته ،
حتى إذا فاتَ امرٌ عاتَبَ القَدَرَا

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

فلئن سمعتَ نصيحتي وعَصَيْتَها ،
ما كنتُ اوّلَ ناصحٍ مَعْصِيّ

•

وقال حَبيب في بني تغلب عند ايقاع مالك بن طوق بهم :

لم يألُكم مالكٌ صَفْحاً ومَغفرةً ،
لو كان يَنفُخُ قينُ الحيِّ في فَحَمِ

---

١ الرز : الصوت .

حفظ الاسرار

قالت الحكماء : صَدْرك أوسع لسرّك .

وقالوا : سِرّك من دمِك ؛ يعنون أنه ربما كان في افشائه سفكُ دمك .

•

وكتب عبدُ الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف :

ولا تُفشِ سِرّك إلاّ اليك، فإنّ لكلّ نصيحٍ نصيحا
فإني رأيتُ غُواةَ الرّجال لا يَتْركون أديماً صحيحا[1]

•

وقالت الحكماء : ما كنتَ كاتمَه من عدوّك فلا تُطلِع عليه صديقك .

•

وقال عمرو بنُ العاص : ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلُمْته ، لأنّي كنت أضيقَ صدراً منه حينَ استودعتُه إيّاه حتى أفشاه .

•

---

١ الأديم : الجلد . يريد ان الغواة يمزقون اعراض الناس .

وقال الشاعر :

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِه،
فصَدرُ الذي يستودِعُ السِرَّ أضيقُ

•

قيل لأعرابي : كيف كِتمانُك للسرِّ ؟ قال : أجحَدُ المُخبر وأحلِفُ للمُستخبر .

•

وقيل لآخر : كيف كتمانُك للسرِّ ؟ قال : ما قلبي له إلا قبر .

•

وقال المأمون : الملوكُ تحتمِل كلَّ شيء إلا ثلاثة أشياء : القَدح في الملوك ، وإفشاء السرِّ ، والتعرض للحَرم .

•

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً أفلا أحدِّثُك به ؟

قال : يا بُني ، إنه من كتم سرَّه كان الخِيارُ له ، فلا تكن مملوكاً بعد ان كنت مالكاً .

•

وفي التاج[1] : ان بعض ملوك العجم استشار وزيريه، فقال أحدهما : لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحداً إلا خالياً به ، فإنه أموَتُ للسرّ ، وأحزَم للرأي ، وأجدر بالسلامة ، وأعفى لبعْضِنا من غائلةِ بعضٍ ؛ فإن إفشاء السرّ الى رجلٍ واحد أوثق من افشائه الى اثنين ، وإفشاءه الى ثلاثة كإفشائه الى جماعة ، لأن الواحد رهنٌ بما افشي اليه، والثاني مُطْلَقٌ عنه ذلك الرّهنُ ، والثالث علاوة فيه .فإذا كان السرّ عند واحد كان أحرى أن لا يُظهِره رغبةً ورهبة ، وان كان عند اثنين دخلت على الملك الشُّبهة ، واتّسعت على الرجلين المعاريضُ ، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وان اتّهمهما اتّهم بريئاً بجناية مجرم، وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجّة معه .

•

ومن أحسنِ ما قالتِ الشُّعراء في السرّ ، قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعة :

فقالت ، وأرْخت جانبَ السِّتْر : إنما
مَعِي، فتَحدَّث غيرَ ذي رِقْبة، أهلي

---

١ اي كتاب التاج.

فقلت لها : ما بي لَهُمْ من تَرَقُّب ؛
ولكنَّ سرّي ليس يَحمِلُه مِثْلي

•

وقال أبو مِحجن الثقفي :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكَثْرتِه ،
وسائِلي الناسَ عن بأسِي وعن خُلُقي

قد أطعنُ الطّعنة النَجلاء عن عُرُضٍ ،
وأكتُمُ السِرَّ فيه ضَربةُ العُنُقِ

•

وقال الحُطيئة يهجو :

أغِربالاً إذا استُودِعْتَ سرّاً ،
وكانُوناً عـــلى المُتحدِّثِينـا ؟

الاذن

قال زياد لحاجبه عَجْلان : كيف تأذن للناس ؟

قال : على البيوتات ، ثم على الأسنان ، ثم على الآداب .

قال : فمن تُؤخِّر ؟

قال : من لا يعبأ الله بهم .

قال : ومن هم ؟

قال : الذينَ يلبَسون كُسوةَ الشتاء في الصَّيفِ وكُسْوة الصَّيف في الشتاء .

•

وكان سعيدُ بن عُتبة بن حُصَين إذا حضر باب أحد من السلاطينِ جلس جانباً ، فقيل له : انك لتَباعَدُ من الآذنِ جُهْدَك .

قال: لأنْ أُدعَى من بعيدٍ خيرٌ من أن أُقْصى من قريب. ثم قال :

وإنَّ مَسيري في البلادِ ، ومَنْزلي
هو المنزلُ الاقصَى ، إذا لم أُقرَّبِ

ولستُ ، وإن أُدنيتُ يوماً ، ببائعٍ
خَلاقي ولا دِيني ابتغاء التحبُّبِ

وقد عَـــدَّه قومٌ تِجارةَ رابحٍ ،
ويَمْنَعُني مِن ذاك دِيني ومَنْصِبي

•

وقال آخر :

رأيتُ أناساً يُسْرِعون تَبادُراً ،
إذا فَتَحَ البوّابُ بابَك إصْبَعا

ونحنُ جُلوسٌ ساكِنُون رَزانةً
وحِلْماً ، إلى أن يُفتَحَ البابُ أجمعا

•

ووقف الاحنفُ بن قيس ومحمدُ بن الاشعثِ بباب معاوية ، فأذن للأحنف ، ثم أذن لابن الأشعث ، فأسرع في مشيته حتى تقدَّم الأحنفَ ودخل قبله ؛ فلما رآه معاوية غمَّه ذلك وأحنقه ، فالتفت اليه ، فقال : والله إني ما أذنتُ له قبلك وأنا أريد أن تدخُل قبله . وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم ، ولا يَزيدُ مُتزيِّد في خَطوه إلا لنَقْصٍ يَجدُه من نفسه .

•

وقال هِشامٌ الرَّقاشي :

أبلِغ أبا مِسْمعٍ عني مُغَلْغَلةً ،
وفي العِتَاب حياةٌ بينَ أقوامِ

قدّمتَ قبلي رجالاً ما يكونُ لهم ،
في الحقّ ، أنْ يَلِجوا الأبواب قُدّامي

لو عُدَّ قومٌ وقومٌ كنتُ أقربَهم
قُربَى ، وأبعدَهم من منزِلِ الذّامِ

حتّى جعلتُ ، إذا ما حاجةٌ عَرَضت
ببابِ قَصْرِك ، أدلوها بأقوامِ

•

قيل لمعاوية : ان آذِنك يُقدّمُ معارفه في الاذن على وجوه الناس .

قال : وما عليه؟ ان المعرفة لتنفع في الكَلب العقور والجمل الصؤول فكيف في رجل حَسِيبٍ ذي كرم ودين ؟

•

وقالت الحكماء : لا يُواظِبُ أحدٌ على بابِ السُّلطان

فيلقي عن نفسه الأنفةَ ويحتملَ الأذى ويَكْظِمَ الغيظَ إلا وصل الى حاجته .

•

وقالوا : من أدْمن قرع الباب يُوشك أن يُفتح له .

وقال الشاعر :

أَخْلِق بذي الصَّبر أن يحظَى بحاجتِه ،
ومُدْمنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا

•

ونظر رجل الى روْح بنِ حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور ، فقال له : قد طال وقوفك في الشمس ! فقال : ليطول وقوفي في الظلّ .

•

ونظر آخر الى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان ، فقال له : أمثلك يرضى بهذا ؟ فقال :

أُهين لهم نفسي لأكْرِمَها بهم ،
ولا يُكْرِمُ النّفس الذي لا يُهينها

•

وفي كتاب للهند : إن السلطان لا يقرّبُ الناسَ لقُرب آبائهم ولا يُبعدهم لبعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ،

فيقرّب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضُرّه؛ وشبهوا ذلك بالجُرذ الذي هو في البيت مجاورٌ ، فمن أجل ضُرّه نُفِي ، والبازي الذي هو وحشيّ ، فمن أجل نفعه اقتني .

•

استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ، فقال : أألِجُ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج الى هذا فعلّمه الاستئذان ، وقل له يقول : السلام عليكم ، أأدخل ؟

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثٌ ، فان أُذنَ لك والا فارجع .

•

وقال النبيّ عليه السلام : الأولى اذْن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عَزْمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يرجع .

الحجاب

قال زياد لحاجبه : وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح لا تحجبه عني فلا سلطان لك عليه ؛ وطارق الليل لا تحجبه ، فشرّ ما جاء به، ولو كان خيراً ما جاء في تلك الساعة ؛ ورسول الثغر ، فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة،فأدخله علي وإن كنت في لحافي؛وصاحب الطعام ، فان الطعام إذا أُعيد تسخينه فسد .

•

ووقف أبو سفيان بباب عثمان بن عفان، وقد اشتغل ببعض مصالح المسلمين ، فحجبه فقال له رجل ، وأراد أن يغريه : يا أبا سفيان، ما كنت أرى أن تقِف بباب مُضَري فيحجبك. فقال أبو سفيان : لا عدمت من قومي من أقفُ ببابه فيحجبني.

•

استأذن أبو الدّرداء على معاوية فحجبه ، فقال : من يغْشَ أبواب الملوك يقم ويقعد ، ومن يجد باباً مغلقاً يجدْ الى جانبه باباً مفتوحاً ، ان دعا أُجيب وان سأل أُعطي .

•

وقال محمود الورّاق :

شاد الملوكُ قُصورَهم ، فتَحصَّنوا
مِن كلِّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ

غالَوْا بأبواب الحديد لِعزِّها ،
وتنوّقُوا في قُبْح وَجْه الحاجِبِ[1]

فإذا تلطّفَ ، للدخولِ عليهمُ ،
راجٍ ، تلَقَّوه بوَعْدٍ كاذبِ

فاطلبْ إلى ملِك المُلوك ، ولا تكُن
بادي الضَّراعةِ طالباً مِنْ طالبِ

•

سَعيد بن مُسلم قال: كنت والياً بإرمينيَة فغبر[2] أبو هفّان أياماً ببابي ولا أعلم به، فلما وصل إليّ مثَلَ قائماً بين السِّماطين[3] وقال: والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أنّ سَفَّ التراب يُقيمُ من أوَدٍ[4]

---

١ تنوقوا : بالغوا.
٢ غبر : مكث .
٣ السماطين : الصفين .
٤ اود : عوج .

أصلابهم[1] لجعلوه مُمسكة لأرماقِهم[2] إيثاراً للتنزُّه عن عيش رقيق الحواشي . أما والله ما يثنيني عنك إلا ما يَصرِفك عني ، ولأنْ أكونَ مُقِلاً مُقرَّباً أحبّ إليَّ من أن أكون مُكثراً مُبْعَداً . والله ما نسألُ عملاً لا نضْبِطه ، ولا مالاً إلا ونحن أكثرُ منه . وهذا الذي قد صار اليك وفي يدك قد كان في يد غيرك، فأمسوا والله حديثاً، ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشر . فتحبَّبْ الى عِباد الله بحسن البِشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب ؛ فإنّ حُبّ عِباد الله موصولٌ بحُب الله ، وبغضهم موصولٌ ببُغضه، لأنهم شُهَداءُ الله على خَلقه، ورقباؤه على منِ اعوجَّ عن سبيله .

•

أبو مُسْهِر قال: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عَبْدَ كان فحُجبت ، فكتبت اليه :

إنّي أتيتُك للتّسليم أمسِ ، فلَمْ
تأذَنْ عليكَ لِيَ الأستارُ والحُجُبُ

---

١ الاصلاب ، واحدها صلب : الظهر . القوة .

٢ المسكة : ما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب . الارماق ، واحدها رمق : بقية الحياة .

وقد علِمتَ بأنّي لم أُردَّ ، ولا
والله ، ما رُدَّ إلا العِلْمُ والأدب

فأجابني ابن عبدكان فقال :

لو كنتَ كافأتَ بالحُسنى ، لقلتَ كما
قال ابنُ أَوْسٍ ، وفيما قاله أدبُ[1] :

ليسَ الحِجابُ بمُقْصٍ عنك لي أملًا ؛
إنَّ السَّماء تُرَجَّى حينَ تَحتَجِب

•

وقف بباب محمد بن مَنصور رجلٌ من خاصّته فحُجب عنه ، فكتب اليه :

على أيِّ بابٍ أطلُب الإذنَ ، بعدما
حُجِبْتُ عن الباب الذي أنا حاجِبُهْ؟

•

وقف أبو العتاهية الى باب بعض الهاشميّين فطلب الإذن ؛ فقيل له : تكون لك عَودةٌ ؛ فقال :

لَئِن عُدْتُ ، بعد اليوم ، إني لظالِمٌ ،
سأصْرِف وجْهي حيثُ تُبْغَى المَكارمُ

---

١ ابن اوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي .

متى يَظْفَرُ الغادِي اليك بحاجةٍ ،
ونِصْفُك مَحجوبٌ ونِصْفُك نائِمُ ؟

•

ونظير هذا المعنى للعَتّابي ، حيث يقول :

قد أتيناكَ للسّلام مِراراً ، غيرَ منٍّ منّا بذاك المَزارِ
فإذا أنتَ ، في استِتارك بالليْل ، على مِثْل حالِنا بالنهارِ

•

وقف رجل بباب أبي دُلَف ، فأقام حيناً لا يَصِل اليه ، فتلطف برقعة أوصلها اليه ، وكتب فيها :

إذا كان الكريمُ له حجابٌ ، فما فَضْل الكريم على اللئيمِ ؟

فأجابه أبو دلف :

إذا كان الكريمُ قليلَ مال ، ولم يُعذَر ، تعلل بالحِجابِ
وأبوابُ المُلوك محجَّباتٌ ، فلا تَسْتعظِمنّ حِجابَ بابي

•

وقال حبيب الطائي في الحجاب :

سأترُك هذا البابَ ما دام إذْنهُ
على ما أرى ، حتى يَلينَ قَليلاَ

فما خابَ مَنْ لم يأتِهِ مُتعمّداً ،
ولا فازَ مَنْ قَدْ نالَ منه وصُولاَ

ولا جُعِلتْ أرزاقُنا بيَدِ امرىءٍ
حَمَى بابَه من أنْ يُنالَ دُخولا

إذا لم نَجِد للإذنِ عندك موضعاً ،
وَجَدْنا الى تَرْكِ المَجِيء سَبِيلا

•

وأنشد أبو بكر بنُ العطّار :

ما لَكَ قد حُلْتَ عن وفائِك
واستَبْدلتَ ، ياعمرُو ، شِيمةً كَدِرَهْ

لستم تُرجَّون للحِساب ، ولا
يَوْمَ تكون السماءُ مُنْفَطِرهْ[1]

قد كان وَجْهِي لديك مَعْرِفةً ،
فاليَوْمَ أضْحَى باباً من النَّكِرهْ

•

---

١ منفطرة : منشقة ، كناية عن يوم الدين .

وقال غيره :

أتيتُك للتَّسْليم ، لا أنني امرُؤٌ
أردتُ ، بإتيانيك ، أسبابَ نائِلكْ

فألفيتُ بَوّاباً ببابِك مُغْرَماً ،
يُهدِّم ما وطَّدتَه مِنْ فَضائِلك

وقد قال قومٌ : حاجبُ المرء عامِلٌ
على عِرْضه ، فاحذَر خيانةَ عامِلك

•

وقال الحسَنُ بن هانىء :

أيّها الراكبُ المُغِذُّ إلى الفَضْل
ترفَّقْ ، فدون فَضْلٍ حِجابُ

ونَعَمْ هَبْكَ قد وصَلت إلى الفَضْل ،
فهل في يَديْك إلا التُّرابُ ؟

•

وقال آخر ، وهو محمد البغدادي :

حِجابُك من مَهابته عَسيرُ ؛
وخَيْرك في تَزَيُّده يَسيرُ

خرجتُ كما دخلتُ اليك ، إلاّ
غُبارٌ طارَ في خُفّي كثيرُ

•

وقال آخر ، وهو العتّابي :

حِجابُكَ ليس يُشْبِهه حِجابُ ؛
وخَيْرُكَ دونَ مَطْلبِهِ السَّحابُ

ونَوْمُكَ نومُ من وَرَدَ المَنايا ،
فليس له إلى الدُّنيا إيَابُ

•

وقال غيره :

أنا بالبابِ واقفٌ ، مُنْذ أصبحتُ ،
على السَّرْجِ ، مُمْسِكاً بِعِنانِي

وبِعَيْنِ البَوّابِ كلُّ الذي بي ،
ويَرانِي كأنّه لا يراني

•

وقال غيره :

إذا ما أتَينَاه في حاجةٍ رَفَعنا الرّقاعَ له بالقَصَبْ
له حاجِبٌ دونه حاجبٌ ، وحاجبُ حاجبه مُحْتَجِب

•

وقال أبو بشير: حجبني بعض كتّاب العسكر، فكتبت اليه: ان من لم يرفعه الاذن لم يَضعه الحجاب . وأنا أرفعك عن هذه المنزلة ، وأرغب بقدرك عن هذه الخليقة ، وكل من قام في منزلك ، عظم قدره أو صغر ، وحاول حجابَ الخليفة أمكنه؛ فتأمل هذه الحال وانظُر اليها بعين الفَهْم ترَها في أقبح صورة وأدنى منزلة .

•

وقد قلت في ذلك :

إذا كنتَ تأتي المرء تُعْظِم حقَّه ،
ويَجْهَلُ مِنكَ الحقَّ، فالهَجرُ أوسَعُ

وفي الناس أبْدالٌ وفي الهَجْر راحةٌ
وفي الناس، عَمَّن لا يُواتيك ، مَقْنَعُ

وإنَّ امرأ ، يرضَى الهوانَ لنفسه ،
حَرِيٌّ بجَدْع الأنْف، والأنفُ أسْنَعُ[1]

•

---

١ الأسنع : المرتفع العالي .

وقال آخر :

يا أبا موسى ، وأنت فتىً ماجدٌ ، حُلْوٌ ضَرائبُهُ[1]
كُنْ على مِنْهاج معْرِفةٍ ؛ إنّ وجْه المرء حَاجِبُه
فبِهِ تَبْدو محاسنُه ؛ وبه تَبْدو معايِبه

•

وأنشد حسين بن الجمل ، وبكّر الى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وأدخل ابن سَعوة وحَمدَويه :

ولَعَمري ، لئن حُجِبنا عن الشَّيخ ،
فلا عن وَجْهٍ هناك وَجيهِ

لا ولا عن طَعامه التافهِ النَّزْرِ ،
الذي حولَه لِطامُ بَنِيهِ[2]

بل حُجِبْنا به عن الخَسْف والمَسخ ،
وذاك التَّبْرِيقِ والتَّمْويهِ[3]

---

١ الضرائب ، واحدتها ضريبة : الطبيعة والسجية .

٢ أراد بلطام بنيه : ان بنيه يتلاطمون للحصول على شيء منه لقلته ، وهو يعيره هنا بالبخل .

٣ الخسف : الذل . المسخ ، من مسخه : حول صورته الى صورة أقبح منها . التبريق ، من برق عينيه : أحد النظر ، والتزيين . التمويه : التزوير .

فَجَزى الله حاجِبا ، لك فَظّاً ،
كُلَّ خَيْرٍ عنّا ، إذا يَجْزِيهِ

فلقد سَرّني دخولُ أبي سَعوة
دوني ، وبَعدَه حَمْدَوَيهِ

إنّ ذَبْحي ، نذالةً ، قد تأتّى
من صَباحي بقُبْح تلك الوُجوهِ

•

وقال أحمدُ بن محمد البغدادي في الحسن بن وهْب الكاتب :

ومُسْتَنْبٍ عن الحَسَن بنِ وهْبٍ ،
وعمّا فيه من كَرَمٍ وَخِيرِ[1]

أتاني كَيْ أُخبِّره بِعلْمي ،
فقلتُ له : سقطتَ على الخَبِيرِ

هو الرجل المهذَّبُ ، غيرَ أنّي
أراه كثيرَ إرْخاءِ السُّتورِ

وأكثرُ ما يُغنّيه فتاهُ
حُسينٌ ، حينَ يخلو للسرورِ :

---

١ مستنب : متباعد ، متجاف .

ولولا الرِّيحُ اسمِع أهلُ حَجْرٍ
صليلَ البَيض تُقْرعُ بالذُّكور[1]

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

ما بالُ بابِك محروساً ببَوّابِ ،
يَحْميه مِنْ طارقٍ يأتي ، ومُنْتابِ ؟

لا يَحْتجِبْ وجهُك المقوتُ عن أحد،
فالمَقتُ يَحْجُبُه من غير حُجّابِ

فاعزِل عن البابِ مَن قد ظلَّ يَحْجبُه؛
فإنّ وجهَك طِلسامٌ على البابِ[2]

•

ووقف حَبيب الطائي بباب مالك بن طَوْق فحُجب عنه . فكتب اليه يقول :

قُل لابن طَوْقٍ : رحى سَعْدٍ، إذا طحَنت
نوائبُ الدهر أعلاها وأسفلَها :

---

١ البيت للمهلهل بن ربيعة . حجر : اليمامة . البيض ، واحدتها بيضة : الخوذة .

٢ طلسام : لعل اصل اللفظة طلسم بتشديد اللام ، وهو خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنه يدفع بها كل مؤذ .

أصبحتَ حاتِمَها جُوداً ، وأحنفَها
حِلماً ، وكيَّسها عِلماً ، ودَغْفلَها[1]

ما لي أرى القُبّة البيضاء مُقْفَلةً
دوني، وقد طالَمَا استفتحتُ مُقْفَلها ؟

أظنُّها جَنَّةَ الفِرْدوسِ مُعرِضةً ،
وليس لي عمل زَاكٍ ، فأدخُلَها[2]

---

١ حاتمها : هو حاتم الطائي . احنفها : الأحنف بن قيس . كيسها : لعله اراد به النمر بن تولب، سمي الكيس لحكمته. دغفلها: دغفل بن حنظلة وكان نسابة.

٢ معرضة : بادية ظاهرة .

الوفاء والغدر

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتبِ حين أيقن بزوال مُلكه : قد احتجتَ الى أن تصيرَ مع عدوي وتظهر الغدر بي؛ فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظنّ بك ، فإن استطعتَ أن تنْفَعني في حياتي ، وإلا لم تعجِز عن نفع حَرمي بعد موتي .

فقال عبد الحميد : ان الذي أمرتَ به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي ، وما عندي غير الصبر معك ، حتى يفتح الله عليك أو أُقتل معك ؛ وأنشأ يقول :

أُسِرُّ وفاءً ، ثم أُظْهِر غَدرةً ،
فَمنْ لي بعُذْرٍ يُوسع الناسَ ظاهرُه ؟

•

أبو الحسن المدائني قال: لما قَتلَ عبدُ الملك بن مروان عمرو ابن سعيد بعدما صالحه وكتب اليه أماناً وأَشهد شهوداً، قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويَصدُر عن رأيه إذا ضاق به الأمر : ما رأيك في الذي كان مني ؟

قال : أمرٌ قد فات دَرْكه .

قال : لتقولنّ .

قال : حَزْم لو قتلتَه وحييتَ .

قال : أولست بحي ؟

فقال : ليس بحي من أوقف نفسه موقِفاً لا يُوثقُ له بعهد ولا بعقد .

قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعُه فِعْلي لأمسكتُ .

•

المدائني قال: لما كتب أبو جعفر أمان ابن هبيرة[1] واختلف فيه الشهود أربعين يوماً ، ركب في رجال معه حتى دخل على المنصور ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ان دولتكم هذه جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنّبوهم مرارتها ، لتسرع محبتكم الى قلوبهم ، ويَعذُبَ ذكرُكم على ألسنتِهم ، وما زلتُ منتظراً لهذه الدعوة .

فأمر أبو جعفر برَفع السِّتر بينه وبينه ، فنظر الى وجهه وباسطه بالقول حتى اطمأن قلبه ؛ فلما خرج قال أبو جعفر : عجباً لمن يأمرني بقَتلِ مثل هذا ! ثم قتله بعد ذلك غدراً .

•

---

١ ابن هبيرة : هو يزيد بن هبيرة . كان عاملاً لمروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، على العراق .

وقال أبو جعفر لسَلم بن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مُسلم؟
قال سَلم : « لوْ كانَ فِيهما آلِهةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتا . »
قال : حَسبك الله أبا أُمية .

•

قال أبو عمرو بنُ العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدَرَ العرب ، وكانوا يُسمُّون الغَدْرَ في الجاهلية : كَيْسان، فقال فيهم الشاعر[1] :

إذا كنتَ في سَعْد، وخالُك منهمُ،
غَرِيباً، فلا يَغْرُرْكَ خالُك من سَعْدِ

إذا ما دَعَوْا كيسانَ، كانت كهولُهم
إلى الغَدْر أدنى من شَبابِهم المُرْدِ

---

١ الشاعر هو النمر بن تولب .

الولاية والعزل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ستحرصون على الإمارة ، ثم تكون حسرةً وندامة، فنِعْمتِ المرضعة، وبِئْستِ الفاطمة.

•

وقال المُغيرةُ بن شعبة : أُحب الإمارة لثلاث وأكرهها لثلاث؛ أُحبها لرفع الأولياء، ووضع الأعداء، واسترخاص الاشياء؛ وأكرهها لروعة البريد ، وموت العزل ، وشماتة الأعداء .

•

وقال ولد ابنِ شُبرُمة القاضي : كنت جالساً مع أبي قبل أن يلي القضاء ، فمر به طارق بن أبي زياد في موكب نبيل ، وهو والي البصرة ، فلما رآه أبي تنفس الصُّعداء وقال :

أراها،وإن كانت تُحَبُّ، كأنها سحابةُ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

ثم قال : اللهم لي دِيني ولهم دنياهم. فلما ابتلي بالقضاء، قلت له : يا أبت ، أتذكر يوم طارق ؟

قال يا بنيَّ ، إنهم يجدون خلفاً من أبيك ، وإن أباك لا يجد

خلفاً منهم ؛ إن أباك حطّ في أهوائهم ، وأكل من حلوائهم .

•

قيل لعبد الله بن الحسن : إن فلاناً غيّرته الولاية .

قال : من ولي ولاية يراها أكبر منه تغير لها ، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها .

•

ولما عَزل عمرُ بن الخطاب المغيرةَ بن شُعبة عن كتابة أبي موسى ، قال له : أعن عجزٍ أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على العامّة .

•

وكتب زيادٌ إلى معاوية : قد أخذت العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة ، يعرّض له بالحجاز .

فبلغ ذلك عبد الله بن عُمر ، فرفع يده إلى السماء وقال : اللهم اكفنا شمال زياد .

فخرجت في شماله قرحة فقتلته .

•

ولقي عمرُ بن الخطاب أبا هُريرة ، فقال له : ألا تعمل ؟

قال : لا أُريد العمل .

قال: قد طلب العملَ من هو خيرٌ منك، يوسف عليه الصلاة والسلام.

قال: «اجْعَلْني على خزائنِ الأرض إنّي حفيظٌ عَليم.»

•

المدائنيّ قال: كان بلال بن أبي بردة ملازماً لباب خالد بن عبد الله القَسري، فكان لا يركب خالد إلا رآه في موكبه، فبرم به[1]، فقال لرجل من الشُرط: ائت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له: يقول لك الأمير: ما لزومك بابي وموكبي، إني لا أولّيك ولايةً أبداً.

فأتاه الرسول فأبلغه؛ فقال له بلال: هل أنت مُبلغ عنّي الأمير كما بلغتني عنه؟

قال: نعم.

قال: قل له: والله لئن وليتني لأعزلتني[2].

فأبلغه ذلك؛ فقال خالد: قاتله الله! إنه ليَعِدُ من نفسه بكفاية؛ فدعاه فولاه.

•

---

١ برم به: ضجر وسئم منه.

٢ اعزلتني: حملتني على ان اعتزل الولاية.

وأراد عُمر بن الخطاب أن يستعمل رجلًا ، فبادر الرجلُ فطلب منه العمل ، فقال له عُمر : والله لقد كنتُ أردتك لذلك ، ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه .

•

وطلب العبّاس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية ، فقال له : يا عمّ ، نفسٌ تُحييها خيرٌ من ولاية لا تُحصيها .

•

وطلب رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم عملًا ، فقال له : إنا لا نستعين على عملنا بمن يريده .

•

وتقول النّصارى : لا نختارُ للجثلقة إلا زاهداً فيها غير طالبٍ لها .

•

وقال زياد لأصحابه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟

قالوا : الأمير وأصحابه .

قال : كلا ، إنّ لأعواد المنبر لهيبةً ، ولقرع لجام البريد لفزعةً ؛ ولكنّ أغبط الناس عيشاً رجلٌ له دارٌ يجري عليه كراؤها ، وزوجةٌ قد وافقته في كفاف من عيشه ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه ، أفسدنا عليه آخرته ودنياه .

•

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية ، حين كبر وخاف أن يستبدل به : أما بعد ، فقد كبرت سني ، ورقّ عظمي ، واقترب أجلي ، وسفّهني سُفهاء قريش ، فرأيُ أمير المؤمنين في عمله موفّق.

فكتب إليه معاوية : أما ما ذكرت من كبر سنّك ، فأنت أكلت شبابك ؛ وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ، فإني لو أستطيع دفع المنيّة لدفعتها عن آل أبي سُفيان ؛ وأما ما ذكرت من سُفهاء قريش ، فحُلماؤها أحلّوك ذلك المحلّ ؛ وأما ما ذكرت من أمر العمل ، فضحٌ رويداً يدركِ الهيجا حَمَل[1] ؛ وهذا مثل ، وقد وقع تفسيره في كتاب الأمثال .

فلما انتهى الكتاب إلى المُغيرة ، كتب إليه يستأذنه في القُدوم عليه ، فأذن له ، وخرجنا معه ، فلما دخل عليه قال له : يا مُغيرة ، كبرت سنُّك ، ورقّ عظمُك ، ولم يبق منك شيء ، ولا أراني إلا مُستبدلاً بك .

قال المحدّث عنه : فانصرف إلينا ونحن نرى الكآبة في وجهه ، فأخبرنا بما كان من أمره ؛ قلنا له : فما تريد أن تصنع؟

قال : ستعلمون ذلك .

فأتى مُعاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الأنفس ليُغدى

---

١ ضح رويداً : لا تعجل . حمل : هو حمل بن بدر ، قائل بيت الشعر الذي اتخذ من صدره هذا المثل . ومعنى المثل النهي عن العجلة .

عليها ويُراح، ولستَ في زمن أبي بكر وعُمر، فلو نصبت لنا علماً من بعدك نصير إليه ، فإني قد كنتُ دعوتُ أهل العراق إلى بيعة يزيد .

فقال : يا أبا محمد ، انصرف إلى عملك ورُمْ هذا الأمر لابن أخيك .

فأقبلنا نركض على النُّجبَ، فالتفتَ فقال: والله لقد وضعتُ رجله في ركاب طويلٍ ، ألقى عليه أمّة محمد صلى الله عليه وسلم .

من أحكام القضاة

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : إذا كان في القاضي خمسُ خصال فقد كمُل : عِلمٌ بما كان قبله ، ونزاهةٌ عن الطَّمع ، وحلمٌ على الخصمِ ، واقتداءٌ بالأئمة ، ومُشاورةُ أهل العلم والرأي .

•

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : إذا أتاك الخصمُ وقد فُقِئت عينُه ، فلا تحكم له حتى يأتي خصمُه ، فلعلّه قد فُقئت عيناه جميعاً .

•

وكتب عمرُ بن الخطّاب إلى معاوية في القضاء يقول فيه : إذا تقدَّم الخصمانِ فعليك بالبيِّنةِ العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وإدناءِ الضَّعيف حتى يشتدَّ قلبه ، وينبسطَ لسانه . وتعاهد الغريبَ ، فإنك إن لم تَتعاهده ترك حقَّه ، ورجَع إلى أهله ، وإنما ضَيَّع حقَّه من لم يرفق به . وآسِ بين الناس في لحظِك وطرفِك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبيّن لك فصلُ القضاء .

العُتبي قال : تنازَع إبراهيم بن المهديّ هو وبُخْتَيَشوع[1]

---

١ بختيشوع : اسم سرياني مركب من كلمتين : بخت : عبد ، ويشوع : يسوع .

الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دواد القاضي في مجلس الحُكم في عَقار بناحية السَّواد ، فزَرى عليه[1] ابنُ المهديّ وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دواد ، فأحفظه[2] ذلك ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلمنّ أنّك رفعت عليه صوتاً ، ولا أشرت إليه بيدٍ ، وليكن قصدُك أمماً[3]، وطريقُك نهجاً[4] ، وريحُك ساكنةً ، ووفِّ مجالسَ الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجُّهِ إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكلُ[5] لمذهبِك في محتِدك وعظم خطرك ، ولا تعجَل ، فربَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً[6]، والله يعصِمك من الزللِ وخطلِ القول والعمل، ويُتمُّ نعمتَه عليك كما أتمَّها على أبويك من قبلُ ، إنّ ربَّك حكيمٌ عليمٌ .

قال إبراهيم : أصلحك الله ، أمرتَ بسدادٍ ، وحَضَضت على رشادٍ ؛ ولستُ بعائدٍ إلى ما يثلم مُروءتي عندك ، ويسقطني

---

١ زرى عليه : عابه .

٢ احفظه : اغضبه . الضمير يعود الى القاضي .

٣ امماً : وسطاً .

٤ نهجاً : واضحاً .

٥ اشكل : اشبه .

٦ الريث : البطء . والكلام من الامثال .

من عينك ، ويُخرجُني عن مِقدار الواجب الى الاعتـــذار ، فهاءنذا مُعتذرٌ إليك من هذه البادرة اعتذارَ مقرٍّ بذنبه، باخع[1] بجرمه، فإن الغضب لا يزال يستفزُّني بموادّه فيردُّني مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد وهبت حقي من هذا العقار لبُخْتَيشوع، فليت ذلك يقوم بأرش[2] الجناية ، ولن يتلفَ مالٌ أفاد موعظةً ، وبالله التوفيق .

•

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى الاشعريّ ، رواها ابن عُيينة :

أما بعدُ ، فـإن القضاء فريضة مُحكمة ، وسنّةٌ متّبعةٌ ؛ فافهم إذا أدلى إليك الخصمُ، فإنه لا ينفعُ تكلّمٌ بحقٍّ لا نفاذ له . آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفِك ، ولا يخـافَ ضعيفٌ من جورك . البيّنةُ عـلى من ادّعى ، واليمين عـلى من انكر ، والصلحُ جـائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً ، ولا يمنعْك قضاءٌ قضيته بالأمسِ ثم راجعتَ فيه نفسك، وهُديت فيه لرشدِك، أن ترجع

---

١ الباخع : المقر المعترف .

٢ الأرش : الدية .

عنه ، فإن الحقّ قديمٌ ، والرجوعَ اليه خيرٌ من التمادي على الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك ممّا لم يُبلغك به كتابُ الله ولا سُنّةُ نبيّهِ صلى الله عليه وسلم ، واعرف الأمثال والأشباه وقِس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ، واجعل للمدّعي أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضَر بيّنةً أخذت له بحقّه ، وإلا وجّهتَ عليه القضاء ، فإنّ ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر .

والمسلمون عُدول بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حَدّ او مجرَّباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً في ولاءٍ أو قرابة او نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبيّنات . ثم إياك والتأذيَ بالناس والتنكُّرَ للخصوم في الحقوق التي يوجب الله بها الأجرَ ، ويُحسنُ بها الذُّخرَ ، فإنه من تَخْلُصُ نيّته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله خلافه منه هتَك الله سترَه .

•

وكتب عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ :

أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانِهم، فاحذر أن تدركني

وإياك عمياءُ مجهولة، وضغائنُ محمولة، وأهواءٌ متّبعةٌ، ودنيا مؤثَرةٌ. أقم الحدود واجلس للمظالم ولو ساعةً من النهار، وأخِف الفُسّاقَ واجعلهم يداً يداً، ورجلًا رجلًا[1]؛ وإذا كانت بين القبائل نائرة[2] فنادَوا يا لفلان، فإنما تلك نجوى من الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله، وتكون دعواتُهم إلى الله والإسلام.

واستدم النعمة بالشكر، والطاعة بالتألف، والمقدرة بالعفو، والنُصرة بالتواضع والمحبّة للناس.

وبلغني أن ضبّة تنادي يا لضبّة! والله ما أعلمُ أن ضبّة ساق الله بها خيراً قطّ، ولا صرف بها شراً، فإذا جاءك كتابي هذا، فانهكهم عقوبةً حتى يفرقوا[3] إن لم يفقهوا، وألصِق بغيلان ابن خَرشة من بينهم. وعد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وباشر أمورهم، وافتحْ لهم بابك؛ فإنما أنت رجلٌ منهم غير أن الله قد جعلَك أثقلهم حِملًا.

وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنه فَشت لك ولأهل بيتك هيئةٌ في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمُسلمين مثلُها، فإياك يا عبد

---

١ اي فرق بينهم.

٢ النائرة: الشر.

٣ يفرقوا: يخافوا.

الله ان تكون كالبهيمة همُّها في السِّمَنِ والسِّمَن حتفُها؛ واعلم أن العامل إذا زاغَ زاغت رعيّتُه ، وأشقى الناس من يشقى به الناس ، والسلام .

•

أراد عمر بن الخطاب أن يغزو قوماً في البحر ، فكتب إليه عمرو بنُ العاص ، وهو عامله على مِصر : يا أمير المؤمنين إن البحر خَلقٌ عظيمٌ يركبه خَلقٌ صغير ، دُودٌ على عودٍ ، فقال عمر : لا سألني الله عن أحد أحمله فيه .

•

الشَّعبيّ قال : كنت جالساً عند شُريح[1] إذ دخلَت عليه امرأةٌ تشتكي زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاء شديداً ، فقلت : أصلحك الله ، ما أراها إلا مظلومةً .

قال : وما علمُك ؟

قلتُ : لبُكائها .

قال : لا تفعل ، فإنّ إخوة يوسُفَ جاءوا أباهم عِشاءً يبكون وهم له ظالمون .

•

وكان الحسنُ بن أبي الحسنِ لا يرى أن يردَّ شهادة رجل

---

١ شريح : احد القضاة في الاسلام .

مسلم إلا أن يُجرّحه المشهودُ عليه ؛ فأقبل إليه رجل ، فقال : يا أبا سعيد ، إن إياساً ردّ شهادتي .

فقام معه الحسن إليه فقال : يا أبا واثلة ، لِمَ رددتَ شهادة هذا المسلم ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا .

فقال: يا أبا سعيد ، إن الله يقول : « مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء . » وهذا ممن لا يُرضى .

•

ودخل الأشعث بن قيس على شُريح القاضي في مجلس الحكومة فقال : مرحباً وأهلًا بشيخِنا وسيّدنا ! وأجلسه معه ؛ فبينما هو جالسٌ عنده إذ دخل رجل يتظلّم من الأشعث ، فقال له شُريح : قم فاجلس مجلس الخَصْم وكلّم صاحبك .

قال : بل أكلّمُه من مَجلسي .

فقال له : لتقومَنّ أو لآمرنّ من يُقيمك .

فقال له الأشعث : لشدّ ما ارتفعت !

قال : فهل رأيت ذلك ضَرّك ؟

قال : لا .

قال : فأراك تعرفُ نعمة الله على غيرك وتجهلُها على نفسك .

•

وأقبل وكيع بن أبي سود صاحبُ خُراسان ليشهد عند إياس بشهادة ، فقال: مرحباً وأهلا بأبي مُطرِّف! وأجلسه معه، ثم قال له : ما جاء بك ؟

قال : لأشهد لفلان .

فقال : ما لك وللشهادة،إنما يشهد الموالي والتجّار والسُّوقة.

قال : صدقت ؛ وانصرف من عنده .

فقيل له : خدعك ، إنه لا يَقبلُ شهادتَك .

قال : لو علمت ذلك لعلوتُه بالقضيب .

•

دخل عديّ بن أرطاة على شُريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟

قال : بينك وبين الحائط .

قال : إني رجل من أهل الشام .

قال : نائي الدار سحيق المزار .

قال : قد تزوّجت عندكم .

قال : بالرّفاء والبنين .

قال : ووُلِد لي غلام .

قال : ليَهنِئْك الفارس .

قال : وأردت أن أُرحّلها .

قال : الرجل أحقُّ بأهله .

قال : وشرطتُ لها دارها .

قال : الشَّرطُ أملك[1] .

قال : فاحكم الآن بيننا .

قال : قد فعلت .

قال : على من قضيت ؟

قال : على ابن أُمِّك .

قال : بشهادة من ؟

قال : بشهادة ابن أختِ خالتِك . يريد إقراره على نفسه .

•

سُفيان الثوري قال : جـــاء رجل يُخاصم إلى شُريح في سنّور ، قال : بيّنتك .

قال : ما أجدُ بيّنة في سنّور ولدت عندنا .

قال شُريح : فاذهبوا بها إلى امِّها فأرسلوها، فإن استقرّت واستمرّت ودرّت فهي سنّورُك،وإن هي اقشعرّت وازبأرّت وهرّت[2] فليست بسنّورك .

•

---

١ هذا من الامثال ، وورودة : الشرط املك عليك ام لك .

٢ ازبأرت : تنفشت حتى ظهرت أصول شعرها . هرت : صوتت .

سفيان الثوريّ قال : جاء رجل إلى شُريح فقال : ما تقول في شاة تأكل الدَّبى[1] ؟ فقال : لبنٌ طيّبٌ وعلف مجّان .

•

ودخل رجل على الشّعبي في مجلس القضاء ومعه امرأته ، وهي من أجمل النساء ، فاختصما إليه فأدلت المرأة بحجتها وقرّبت بيّنتها ؛ فقال[2] للزوج : هل عندك من مدْفعٍ ؟ فأنشأ يقول :

فُتن الشعبيُّ ، لمّا رفع الطرفَ إليها
فتَنَتْهُ بدلالٍ ، وبخَطَّيْ حاجِبَيها
قال للجلواز : قرّبها ، وأحضر شاهدَيها[3]
فقَضَى جوراً على الخصم ، ولم يَقضِ عليها

قال الشعبيّ : فدخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فلما نظر إليَّ تبسّم وقال :

فُتن الشعبيُّ ، لما رفع الطرفَ إليها

---

١ الدبى : الجراد .
٢ اي الشعبي .
٣ الجلواز : الشرطي .

ثم قال : ما فعلتَ بقائل هذه الابيات ؟

قلت : أوجعتُه ضرباً يا أمير المؤمنين بما انتهك من حُرمتي في مجلس الحكومة ، وبما افترى به عليّ .

قال : أحسنت .

السلطان وعدل ساعة

ابن عبد ربه ٥
عرض الكتاب ٧
كتاب اللؤلؤة في السلطان ١٣
نصيحة السلطان ولزوم طاعته ١٧
ما يصحب به السلطان ٢٠
اختيار السلطان لأهل عمله ٣٠
حسن السياسة واقامة المملكة ٣٦
بسط المعدلة ورد المظالم ٤٣
صلاح الرعية بصلاح الامام ٥٠
قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه ٥٢
صفة الامام العادل ٥٤
هيبة الامام في تواضعه ٥٨
حسن السيرة والرفق بالرعية ٦٣
ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم ٦٨
التعرض للسلطان والرد عليه ٨١
تحامل السلطان على اهل الدين والفضل اذا اجترأوا عليه . ٨٦
المشورة ٩٧

حفظ الاسرار ١٠٣
الاذن ١٠٧
الحجاب ١١٢
الوفاء والغدر ١٢٥
الولاية والعزل ١٢٨
من احكام القضاة ١٣٤

البستاني ،كرم
العقد الفريد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01042078

American University of Beirut

[redacted]

General Library

892.708
I132ikaA
v.1
c.1